وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإسلامية

إشكالية التعامل مع النص القرآني في فكر محمد أركون (عرض ونقد)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في العلوم الإسلامية

تخصص : العقيدة الإسلامية

إعداد الطالب:
عبد القادر حراث

إشراف الأستاذ:
الدكتور مصطفى وينتن

الموسم الجامعي

1443-1444هـ/2022-2023م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإسلامية

إشكالية التعامل مع النص القرآني في فكر محمد أركون (عرض ونقد)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في العلوم الإسلامية

تخصص : العقيدة الإسلامية

إعداد الطالب:
عبد القادر حراث

إشراف الأستاذ:
الدكتور مصطفى وينتن

الموسم الجامعي
1443-1444هـ/2022-2023م

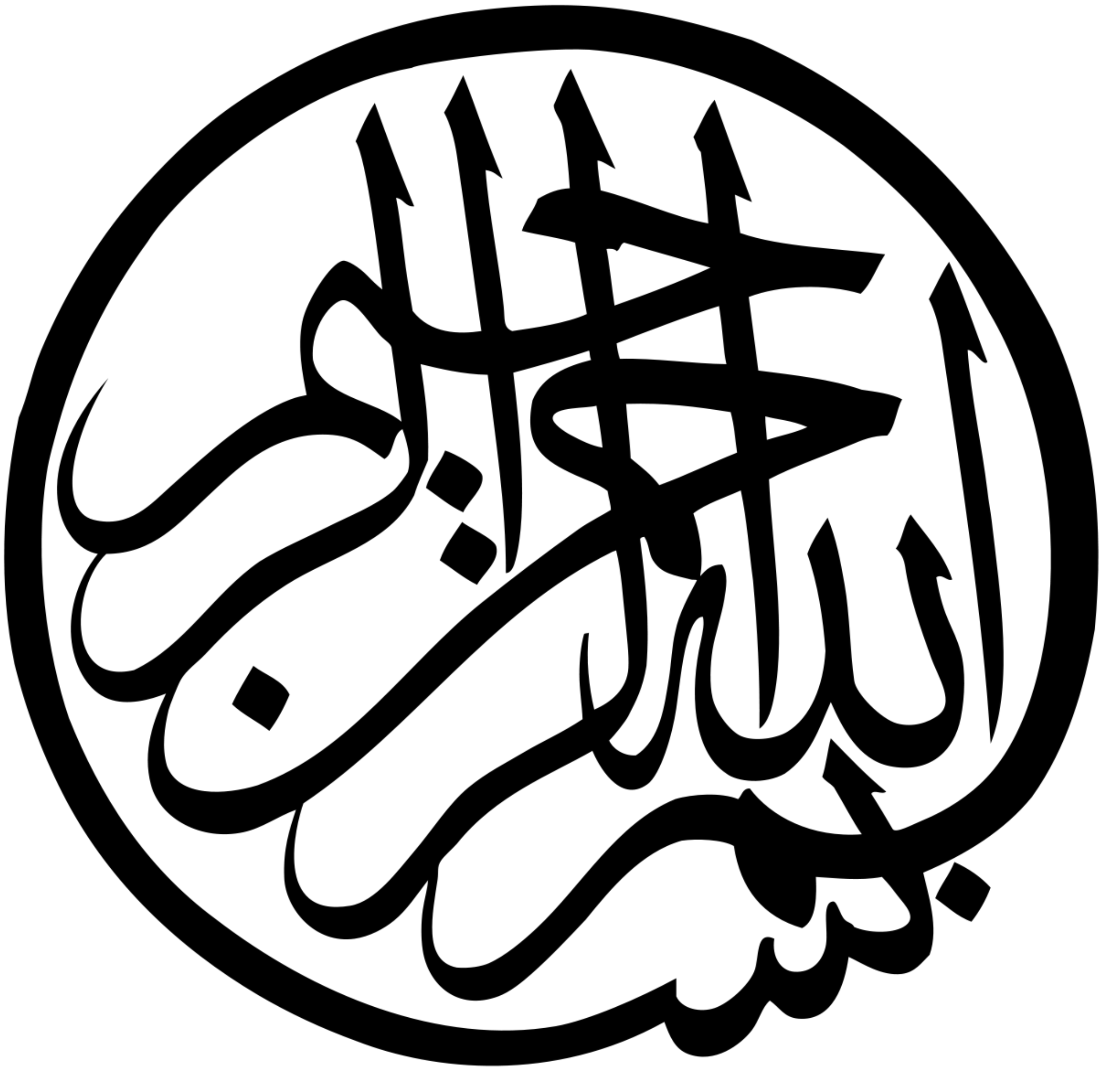
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

- ✓ إلى والداي رحمهما الله فقد كانا شعلة أنارت دربي فكم وددت أن يكونا معي ليشهدا هذا العمل الذي أسأله سبحانه وتعالى أن يكون في ميزان حسناتهما.
- ✓ إلى إخوتي وأخواتي الذين أعانوني وفرحوا لأجلي عند استكمالي لهذه المذكرة.
- ✓ إلى زوجتي وأولادي حيث صبروا على الفراق والانقطاع عنهم وأنا أحضر الرسالة.
- ✓ إلى أساتذتنا الكرام في تخصص العقيدة الإسلامية، وكذا إدارة قسم العلوم الإسلامية بجامعة غرداية كل باسمه ومنزلته السامية.
- ✓ إلى الأستاذ المشرف الدكتور مصطفى وينتن الذي صبر علينا وعلم وحلِم، أسأل الله أن يرفع قدره ويبارك في عمره، وأن يجعل الجنة مثواه وسكناه.
- ✓ وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الأخيار، وآل بيته الأطهار.

❖أهدي خلاصة عملي وثمرة جهدي

عبد القادر بن بشير حرات

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإسلامية

غرداية في: ....

تصريح شرفي للطالب

(يلتزم فيه بالقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها وفقا للقرار رقم: 933 المؤرخ في 28 جويلية 2016)

أنا الممضي أسفله:

1) اسم ولقب الطالب (01) : عبد القادر حسراش

رقم التسجيل: 21930765 09

التخصص: العقيدة الإسلامية

2) اسم ولقب الطالب (02): /

رقم التسجيل: /

التخصص: /

المكلفان بإنجاز مذكرة التخرج لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر والموسومة ب:

إشكالية التعامل مع النص القرآني في فكر محمد أركون

(عرض ونقد)

أصرح بشرفي أني قمت بإنجاز مذكرة نهاية الدراسة المذكور عنوانها أعلاه بجهدي الشخصي، ووفقا للمنهجية المتعارف عليها في البحث العلمي(دليل إعداد مذكرات التخرج)، وبذلك أتحمل المسؤولية الكاملة عن أي مخالفة لقواعد الأمانة العلمية وما يترتب عن ذلك من متابعة بما فيها الإجراءات الإدارية حسب المقررات الوزارية المعمول بها.

التوقيع: الطالب الأول: عبد القادر حسراش الطالب الثاني: /

شوهد للتصديق على امضاء
31 MAI 2023
عن رئيس المجلس الشعبي البلدي
وبالتفويض منه
رئيس الفرع
إمضاء : بن قسمية خديجة

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإسلامية

غرداية في: 02/11/2020

إذن بالتجليد والإيداع [مذكرة ماستر]

أنا الممضي أسفله الأستاذ(ة): أ.د حاج محمد قاسم

رئيس اللجنة المناقشة للمذكرة الموسومة بـ:

إشكالية التعامل مع النص القرآني في فكر محمد أركون (عرض ونقد)

من إعداد الطلب(ة): 1- جراث عبد القادر

-2

وإشراف: أ.د. مصطفى وينتن

تخصص: العقيدة الإسلامية

أقرّ بأن الطلبة أنجزوا عملهم وفق ما قُدم لهم من ملاحظات وتعديلات في لجنة المناقشة. ويمكنهم تجليد المذكرة وإيداعها عند إدارة القسم قصد إتمام الإجراءات الإدارية اللازمة.

إمضاء المشرف:

إمضاء رئيس لجنة المناقشة

ملاحظة: تسلم الاستمارة مع المذكرة المجلّدة لأمانة القسم

المقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم

تمهيد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مظل له، ومن يظلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله – صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين–، أما بعد:

يحتل النص القرآني في الفكر الاسلامي مركزية أساسية إذ هو الاستناد الأول لإثبات كل من الشرعية والمشروعية حيث أن الشرعية هي المنطلق الحجاجي والإطار المكون للمشروعية بكونها المصب المبلور للتشكلات المذهبية الفقهية أو الرؤى العقدية الكلامية.

إلا أن هذه الرؤى والتشكلات ومنذ نزول الوحي وإلى واقعنا المعاصر لم يكن لها أن تختلف في أهمية المرجعية العليا للقرآن كمصدر إلهي يحتكم إليه فكر المسلم لتحديد الوجهات أو رفع الالتباسات كل ذلك من سلطة النص القرآني وما يحمله من ضرورة هادية في تحقيق سر الاستخلاف وإدراك منهج العبودية لله تعالى.

ورغم ما وقع في مسار تاريخ الفكر الإسلامي من تجاذبات وتأويلات آلت به إلى الابتعاد عن مقاصد النص القرآني إلا أن كل ذلك كان ضمن الحقل الإسلامي لإدراك مفكريه ومجتهديه أهميته بكونه البوصلة والمؤشر الفريد في صدقية العقول وآراءها ومدى قرب أفكارها أو بعدها من نقطة الارتكاز عن القرآن الكريم.

كما أن الناظر في التشكلات الأولى للعلوم الإسلامية يجد أنها ابتدأت وانبثقت في جلها عن الكتاب والسنة ثم تطورت عبر مراحل إلى أن استقرت على أوضاع معينة حيث أن الرابط الكلي لهذه العلوم هو النص القرآني مما كساها صفة الشمولية والتكاملية وكذا الوسطية والواقعية وكلها مناهج مقصودة للإنسان شكلت له المنظور الصحيح للفكر والفعل من نواة النص القرآني الذي يكاد يجمع

الباحثون المنصفون سواء أكانوا مسلمين أو غربيين على دوره في ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية في ما سبق وما وصلت إليه المدنية الغربية من تطور وانتظام وأن المرجعية القرآنية كان لها الدور في تصحيح مسار الفكر البشري من تقويم التصورات وتثبيت التصديقات التي لها أثر فعال في تقدم الفكر الانساني ووصوله إلى هذه النقلات التي لم تصلها حضارة أو أمة قبل بزوغ فجر الإسلام ونزول وحي القرآن.

وحيث أن الاستناد المرجعي للقرآن قد ضعف في الأمة مما انتابها من قابلية أضعفت انتماءها وشهودها الحضاري وأوجدت فيها مغلوبية أعاقتها عن الاستهداء والاجتهاد بالقرآن، فكان الاستعمار بما حمله من استغلال واستهزاء أفقد الأمة وأبناءها التوازن الذي كان عليه الأوائل عند استلهامهم الاستخلاف في الأرض وفق منهج النص القرآني.

ورغم ذلك فمازالت التجاذبات الفكرية حول القرآن في واقعنا مشكلة أنماطا جديدة وأساليب خطيرة أخطر مما كانت عليه إبان الصراع المذهبي والكلامي حيث كانت الاهتمامات حول النص القرآني ضمن الإطار الإسلامي ومناهجه وفي حقله ودواخله.

إذ أن المستقرئ للواقع الفكري يجد فيه كما هائلا واهتماما بالغا بالنص القرآني تستهدف في مجموعها تحديثه انطلاقا من رؤية غربية لا تخلو من نزعة ذاتية وخلفية عدائية القصد منها زرع بذور التشكيك ونزع القداسة عن ثوابت الأمة المعرفية خاصة ما يتصل منها بكتاب ربها الذي هو محور استلهامها المعرفي ومنطلق تجديدها الحضاري.

ومن مرتكز السيادة العقلانية التي ترى الذات العاقلة هي محور الاستمداد ومنطلق الاستلهام تشكلت الأنساق الحداثية الغربية في إيجاد منابع قرائية للنص القرآني حيث انتماءاتها الحقلية خارجة عن الحقل الدلالي الذي جاء به الهدي القرآني من مقاصد ورؤية كونية هادية للفكر والفعل الإنساني إلى تحقيق ائتمان حضاري لازالت الرؤية الحداثية الغربية بمعزل عنها لاختلاف المدارك المعرفية ومنطلقات الانتماء بينها وبين الحضارة الإسلامية وبما أن غالب انتماء الفكر المعاصر الحديث من الحقل العلماني والفكر الاستشراقي فإن المناهج العلمية المستقاة من تلك الحقول أنتجت تعقيدا فكريا غير سليم في

تفسيرها للنص القرآني أدت بها إلى اختلالات واختلافات منهجية ومعرفية في التعامل مع النصوص القرآنية.

انطلاقا مما سبق عرضه آثرت أن يكون بحثي حول معضلة من أعقد المباحث الفكرية التي شغلت بال المفكرين والعلماء قديما وحديثا والتي أطرت فيما يسمى بجدلية النص القرآني مما أنتج تجاذبا لازالت امتداداته المعرفية مؤثرة وحاضرة إلى يوم الناس هذا، وإن اختلفت الأدوات والمناهج في التناول الثنائي بين البيان النقلي والبرهان العقلي إلا أن كل هذه التجاذبات كانت إما ضمن البنية القرآنية حيث أفرزت اجتهادات في غالبها معتبرة لأنها من ذاتها الإسلامية أو قراءات خارجة عنها غريبة عن دواخلها لا في أدواتها المنهجية ولا في مضامينها المعرفية.

موضوع البحث: "إشكالية التعامل مع النص القرآني في فكر محمد أركون (عرض ونقد)"

إشكالية البحث:

تعالج هذه الدراسة جانبا من الجوانب الفكرية التي تتصل بالاستلهام الأولي للأمة الإسلامية ألا وهو القرآن الكريم وتبحث في إعادة قراءته حسب ما استشكلها محمد أركون وذلك على مستويين اثنين:

- المستوى الأول: هل كان محمد أركون مصيبا فيما قرره عن ضرورة التجديد في تفسير القرآن الكريم وما مدى إلتزامه بقواعد الاستنباط التي وضعها علماء التفسير في المنظومة الإسلامية.
- المستوى الثاني: ما مدى صدقية المناهج الحداثية التي اعتمدها أركون في أشكلته لقراءة القرآن ومدى مطابقة هذه الأشكلة مع الحقائق العلمية ومناهج الاستدلال العلمي عند مفكري الإسلام.

أهمية الموضوع:

يعد البحث في القرآن الكريم من أهم وأجل المواضيع خاصة ما تعلق بالدفاع عنه ورفع الشبه والالتباسات الواردة عليه لذلك كانت إشكالية النص القرآني في الواقع الفكري المعاصر من جانب الاهتمام والأهمية من أكثر المواضيع المطروقة في الدراسات الآكاديمية والمخابر العلمية الغربية منها والعربية مما أنتج خطورة عن مكانة القرآن الكريم بحد ذاته حيث أضحت عليه دراسات نقدية تستهدف إزالة قداسته وأنسنة الوحي وكلها ترمي إلى قلب المعرفة من المصدر الإلهي إلى المصدرية الوضعية حيث العقل البشري هو المنتج للمعرفة والمالك للحقيقة المطلقة فيها.

وعليه فإن دراستنا تأتي كشفا لنموذج قراءة من القراءات الحداثية التي تدعي امتلاك المشروطية وحصر المشروعية في قراءتها للنص القرآني، لنصل من خلال التتبع والتحليل إلى بيان ضرورة الاهتمام بالدراسات القرآنية من خلال القراءة السليمة للنص القرآني وعن طريق قواعد التعامل مع النصوص وفق مناهج الاستنباط التي أرساها علماؤنا إذ يستلزم فهمها امتلاك أدوات الاجتهاد للتجديد لإظهار مقاصدها ودفع الإشكالات الواردة عليها.

الدراسات السابقة:

لقد التفت كثير من الباحثين المعاصرين إلى ضرورة معالجة إشكالية قراءة النص القرآني فأنتجوا دراسات إما تأصيلية أو نقدية، فالذين سلكوا البناء التأصيلي راعوا فيه التركيز على مناهج تفسير النص فهما واستنباطا مع بيان الخلل من الخروج عن قواعده وضوابطه، من بين هذه الدراسات:

1. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل للشيخ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني
2. كيف نتعامل مع القرآن للشيخ محمد الغزالي
3. كيف نتعامل مع القرآن العظيم للشيخ يوسف القرضاوي

وأما الدراسات التي سلكت الاتجاه النقدي وإن كانت معتبرة إلا أنها مازالت لم تصل إلى سد الثغرات التي أحدثها الغزو الفكري على الأمة الإسلامية، من أهمها مما له صلة بموضوع بحثنا ما يلي:

1. الظاهرة القرآنية عند محمد أركون (تحليل ونقد) للأستاذ أحمد بوعود
2. الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون للدكتور مصطفى كيحل
3. النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر للدكتور قطب ريسوني
4. قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي للدكتور محمد عمارة
5. إشكالية تاريخية النص الديني للدكتور مرزوق العمري
6. موقف محمد أركون من القرآن الكريم (عرض ونقد) للدكتور أحمد حلمي سعيد مدرس
7. القراءات الحداثية للقرآن الكريم للدكتور يوسف الكلام
8. النص الديني والمناهج الغربية في الفكر العربي المعاصر (أركون نموذجا) للأستاذ حاجي رشيد
9. النص القرآني وآليات الفهم المعاصر للدكتور حمادي هواري
10. تاريخية التفسير القرآني للدكتورة نائلة السليني
11. محمد أركون وموقفه من تأويل القرآن الكريم للدكتورة عبلة عميرش
12. القراءة الجديدة للنص الديني للدكتور عبد المجيد النجار

منهجية البحث:

إن المنهج الذي اخترته في هذا المبحث هو المنهج الاستقرائي الذي أعانني في وصف وجمع الخلفيات المعرفية التي استند إليها محمد أركون في تأسيسه لمشروعه الفكري ولنظرته للنص القرآني.

كما استعنت بالمنهج التحليلي في بيان المناهج وتطبيقاتها مع تقسيمها إلى عناصر ما به مكننا من اكتشافها والتأثيرات المشكلة للمشروع الأركوني، وعليه فإن كلا من المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي قادنا إلى نتائج مرجوة عن كبرى المعالم الفكرية لمحمد أركون ولنظرته للنص القرآني.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة تمهيدية بينت فيها أهمية النص القرآني في المنظومة الإسلامية وأهم التطورات التي أدت إلى أشكلته، كما ذكرت فيها إشكالية البحث وأهمية الموضوع والدراسات السابقة التي تناولت الموضوع، ثم عرجت إلى بيان المنهجية المستخدمة في البحث، وأخيرا خطة البحث حيث أطرتها وفق الشكل التالي:

المقدمة

- **المبحث الأول: النص القرآني في المشروع الأركوني**

المطلب الأول: إشكالية النص القرآني بين المفهوم والتطور

المطلب الثاني: مفهوم النص القرآني وآلياته عند محمد أركون

- **المبحث الثاني: المناهج التأسيسية للنص القرآني في المشروع الأركوني**

المطلب الأول: المنهج البنيوي في الفكر الأركوني

المطلب الثاني: المنهج التفكيكي في الفكر الأركوني

المطلب الثالث: المنهج الأريكولوجي في الفكر الأركوني

المطلب الرابع: المنهج الهيرمنوطوقي في الفكر الأركوني

- **المبحث الثالث: التطبيقات المنهجية للنص القرآني في المشروع الأركوني**

المطلب الأول: الإسلاميات التطبيقية

المطلب الثاني: القراءة الألسنية والسيميائية

المطلب الثالث: القراءة التاريخية والإنثربولوجية

- **المبحث الرابع: نماذج من التطبيقات المنهجية للنص القرآني في المشروع الأركوني**

المطلب الأول: قراءة سورة الفاتحة

المطلب الثاني: قراءة سورة الكهف

المطلب الثالث: قراءة سورة التوبة

الخاتمة: أهم النتائج

المصادر والمراجع

المبحث الأول:

النص القرآني في المشروع الأركوني

تمهيد:

إن المتخصص في تاريخ الفكر الإسلامي ومنذ بواكره الأولى وإلى يومنا هذا يدرك مدى المحورية التي يحتلها النص القرآني والتي لم تنحصر في الاختلاف حول الألفاظ والدلالات وما تختزنه من معاني ومقاصد، بل ارتبط الاهتمام بالقرآن بطبيعة الآليات والوسائل وكذا المناهج التي استخدمت في فهمه وقراءته.

وقبل الخوض في المراحل التي مر بها النص القرآني منذ تنزلاته الأولى وما يحتويه من مفاهيم قدسية وإلى تطور الفكر العقلاني في الواقع المعاصر، يجدر بنا تحديد معنى إشكالية قراءة النص القرآني ثم التطرق إلى مراحله التطورية والمشكلة للانشغال وللإشكال المعرفي.

المطلب الأول: إشكالية النص القرآني بين المفهوم والتطور

الفرع الأول: مفهوم إشكالية النص القرآني:

يكتسي النص القرآني في المنظومة المعرفية الإسلامية أهمية مركزية حيث يوظف انطلاقا من قدسية ذاتية بكونه كلام الله تعالى الذي هو صفة من صفاته القديمة لهذا لا ينبغي أن يكون التعامل معه كالتعامل مع أي كلام أو نص آخر، لذلك ضبط علماؤنا شروطا وضوابط في التعامل معه تبتدئ باستصحاب الطهارة عند حمله من قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:79]، كذا ضرورة معرفة أحكام تلاوته لقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: 04]، كل ذلك من أهمية المعنى القدسي الكامن في النص القرآني من لفظه ومعانيه حتى قال الامام الزركشي: "التالي للكلام بمنزلة المكالم لذي الكلام وهو غاية التشريف من فضل الكريم العلام"[1]

وإذا كان القرآن الكريم يحتل هذه المكانة القدسية فإن السنة النبوية تحتل هي أيضا ما يحمله النص القرآني من الخصوصية الوحيية حيث أن كلا مصدرهما من عند الله اذ تشترك فيها السنة في قدسية الوحي مع القرآن من جهة المعنى دون اللفظ الذي هو صادر من عند النبي عليه الصلاة والسلام وقد دلل علماؤنا قديما وحديثا عن مكانة السنة النبوية وصلتها بالقرآن بأدلة نقلية وعقلية، يقول الدكتور

[1]- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، كتاب "البرهان في علوم القرآن" ، ج1، ص459.

مرزوق العمري في بيان قدسية السنة وأنها وحي كالقرآن ما يلي: "فلو لم تكن السنة النبوية وحيا ما ترتب على مخالفتها كفر كما بينت الآية الكريمة[1]، كما وردت في السنة أحاديث تبين أن السنة وحي وليست كلاما بشريا عاديا، من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه**»[2] رواه أبو داوود"[3] ثم قال: "مما تقدم لنا أن السنة وحي وبالتالي فهي نص مقدس من حيث هي كذلك أما عن طبيعة وحي السنة فإنه يختلف عن وحي القرآن طبعا، فالقرآن وحي لفظا ومعنى، أما السنة فهي وحي معنى فقط، فهي وحي غير متلو ولذلك كان القرآن متعبد بتلاوته خلاف السنة، ولهذا قيل : (إنها نوع من الوحي ولكنها وحي غير متلو، لأن الموحى فيها هو المعنى فحسب، ويتم بوحي جلي ووحي خفي بواسطة وبدونها في اليقظة وفي المنام وقد وكلت اللفظية فيها إلى النبي صلى الله عليه وسلم) ونتيجة كونها وحيا كانت النص الأول المبين للنص القرآني"[4]

وعليه فمن هذه القدسية للنص القرآني حدد علماؤنا تعريفا جامعا مانعا للقرآن الكريم تتضمن محدداته التعريفية أوجه الخصوصية بينه وبين الله تعالى، وبينه وبين الوجود كله ليدل على القدسية الارتباطية بين الوحي وبين الواقع المحسوس حيث جعل الرسول مبلغا وكاشفا لمقاصد الوحي القدسي يخاطب فيها العقول بالنص الإلهي مبينا فيها وجه الارتباط بين النص والعقل لينتج منها كما يقول الدكتور فتح الدريني معقولية نصية ترفع بالحجج والبراهين الإشكالات المفهومية الواردة على النص القرآني خاصة فيما ورد من قراءات حداثية معاصرة.

قال العلماء في تعريف القرآن بأنه :"هو كلام الله تعالى المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم باللسان العربي، للإعجاز بأقصر سورة منه ، المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس"[5]

---

[1]- يشير إلى قوله تعالى:﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾ [آل عمران:32]

[2]- رواه أبو داوود في سننه وحكم بصحته.

[3]- مرزوق العمري، كتاب "إشكالية تاريخية النص الديني" ، ص65.

[4]- المرجع نفسه، ص65.

[5]- وهبه الزحيلي ، كتاب "أصول الفقه الاسلامي ج1، ص421.

وقال الامام الجرجاني: "هو المنزل على الرسول عليه الصلاة والسلام المكتوب في المصاحف المنقول عنه نقلا بالتواتر بلا شبهة والقرآن عند أهل الحق هو العلم اللدني الإجمالي الجامع للحقائق كلها.[1]

وانطلاقا من هذه التعريفات الاصطلاحية للنص القرآني أمكننا استنتاج جملة صفات هي المحددة للمفهوم القدسي الخاص بالقرآن الكريم وهي:

1. النص القرآني هو كلام الله تعالى المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الرسالة الإلهية الصحيحة والخاتمة.
2. النص القرآني هو المصدر النهائي والوحيد للمنظومة العقائدية والتشريعية في الكون
3. النص القرآني هو النص المقدس المتعالي الذي لا يمكن المقارنة بينه وبين ما يأتي به البشر، لارتباطه بالحق دون الخلق.
4. النص القرآني هو المعجزة الكبرى الذي تحدى بإعجازه الشمولي كل البشر على اختلاف أجناسهم قديما وحديثا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
5. النص القرآني يدرك مغزاه ويفهم معناه وفق قواعد التفسير كما كان السلف الأول يفهمون القرآن بها وكذا الخلف مما قرره العلماء في علوم القرآن ومناهج الاستنباط.

ومن مجموع ذلك ندرك أن للنص القرآني كينونة خاصة به كما قال الدكتور سعيد النكر: "إن القرآن كلام الله عز وجل وكتابه المعجز جعل منه كيانا مستقلا ونظاما لغويا متميزا وأثرا أدبيا خالدا ونصا له كينونته الخاصة به..."[2]

إلا أن هذا المفهوم للنص القرآني المؤطر في المنظومة الإسلامية على القداسة والتعالي والإطلاقية أضحى مثار جدل إشكالي في مفهومه الذي يقتضي تحديدا جديدا له وعن طريق أشكلة المفهوم وإخراجه من مجال الممنوع التفكير فيه إلى بناءات مفهومية معاصرة تستدعى فيها الآليات والمناهج الفلسفية والحداثية الراهنة مما أفرز مصطلحا مصطنعا عمل على تغيير المنظور للقرآن كما يقول مالك بن

[1]– علي ابن محمد الشريف الجرجاني، كتاب "التعريفات" ، ص154.

[2]– سعيد النكر، كتاب "سؤال المعاصرة والشرعية في قراءة النص القرآني"، ص69.

نبي من "ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته"[1]، إلى منظورات وقراءات هي بحد ذاتها إشكالات تقتضي في تساؤلاتها تطلب المعالجة.

وبالتالي فإن مصطلح إشكالية قراءة النص القرآني كما يقول الدكتور حمادي هواري : "هي اختلاف القارئين له في شتى الأزمنة والأمكنة بل وفي الزمان الواحد والمكان الواحد حول مضامينه والآليات المنتهجة في الوصول إليها، وجدت مع ميلاد النص القرآني واستمرت طيلة العصور إلى أن بلغت ذروتها في القراءات المعاصرة أو الحداثية بعد التطور الحاصل على مستوى الوقائع بالأحداث المستجدة وعلى مستوى الأفكار والمعارف بالمناهج المبتكرة"[2]

حيث يحيلنا هذا المفهوم إلى تحليل التشكلات الأولية الكامنة في معرفة مراحل النص القرآني وتطوره.

الفرع الثاني: مراحل إشكالية النص القرآني

انطلاقا مما سبق في تحديد مفهوم قراءة النص القرآني يتجلى لنا أن إشكالية التعامل مع القرآن لم تكن منحصرة في تحديد مضامينه بل كان الاشتغال بالآليات والمناهج التي وظفت لفهمه وقراءته والتي بدورها تشكلت عبر حقب ومراحل مما ساهمت في التطور الدلالي للنص القرآني.

والمتتبع لمساراته التشكيلية يمكن أن يرصد مراحله ضمن التطورات الخمسة التالية:[3]

1. **الطور الأول:** حيث يمثل المراحل الأولى منذ نزول الوحي بتبليغ الرسول صلى الله عليه وسلم إياه من ربه والذي نزل نجوما واستجابة للواقع وردا لكثير من تساؤلات أهل الكتاب والمشركين، كما كان الصحابة الكرام مرتبطين بالنص القرآني لإدراكهم الفطري وعن طريق قوانين اللغة التي مكنتهم من اكتشاف قدسية القرآن وأنه نص متعال عن الصناعة البشرية ، وأنه من مقاصده تشكيل البشر بتوجيه فهومهم وفق أهدافه التي توخاها العليم الحكيم وفي ذلك يقول الدكتور

---

[1]- مالك بن نبي، كتاب "الظاهرة القرآنية "، ص240.

[2]- حمادي هواري، رسالة دكتوراه "النص القرآني وآليات الفهم" ، ص85.

[3]- هذه التطورات اقتبسنا مراحلها من عند حمادي هواري، مقدمة رسالته للدكتوراه "النص القرآني وآليات الفهم المعاصر" إلا أن التحليل والتحرير من جهدنا.

محمد كمال الدين إمام : "والنص القرآني جاء وحيا لا يصنعه القارئ وإنما يصنع القارئ على ضوء أوامره ونواهيه فالنص القرآني توقيف جاء من عالم الغيب وليس تأليفا تخلق في عالم الشهادة وفي ضوء هذه المسلمة المنهجية تصبح القراءة المفتوحة للنص محكومة من أعلى بقانون المرسل وليست مجرد انعكاس لفعل المستقبل فهما أو تأويلا، وكما يقول الشاطبي في الموافقات : (فإن النص المؤول به إما أن يقبله اللفظ أولا فإن لم يقبله فالنص لفظ لا احتمال فيه فلا تأويل)"[1]

ورغم أهمية الاستناد النصي كمرجعية أساسية في المرحلة الأولى للتنزيل القرآني إلا أنه لم يمنع بعض الصحابة إذنا وإرشادا من النبي عليه الصلاة والسلام من تأسيس البذور الأولى لقراءة النص القرآني والمتمثلة في باب التأويل الذي يعد من أجل أبواب العلوم الشرعية، حيث كان الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وبمباركة النبي عليه الصلاة والسلام ودعائه له «**اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل**»[2] ، من أوائل من فتق علم التفسير وقراءة النص وفق ضوابط وقواعد اللسان العربي.

2. **الطور الثاني**: بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام اتسعت الدولة الإسلامية واحتك العرب بالأعاجم واستجدت على الساحة الإسلامية وقائع وأحداث تطلب من كل ذلك تأسيس مناهج وآليات متعددة في فهم النص القرآني قائمة على تفسيرات وتأويلات متفاعلة والإشكالات السياسية والاجتماعية والثقافية فكانت مشكلة الخلافة على رأس هذه المتطلبات الإشكالية ما فتق رؤى اجتهادية تستند في منطلقاتها المرجعية لاكتساب المشروعية والشرعية انطلاقا من النص القرآني، فظهرت كما يقول الدكتور حمادي هواري: "الحاجة الملحة إلى إيجاد آليات كفيلة بفهم مناسب للنص القرآني تجلت في تنوع التأويلات واختلافها بين الفرق والمذاهب، وقد توجت هذه المرحلة بظهور علم أصول الفقه كأول علم يبحث في طرق استخراج الأحكام من النصوص الأصلية وأهمها وأولها النص القرآني ثم بموجبها تقنين التعقل البشري للنصوص وعلى رأسها النص القرآني الذي ترتب عنه منهج التفسير بوضوح وتأسيس قواعد ثابتة

[1]- محمد كمال الدين إمام، مقال دراسة مقاصدية ضمن أعمال الندوة العلمية الدولية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء يوم 27 يونيو 2013 تحت عنوان "فقه السياق وحدود التأويل" ، ص465.

[2]- قال شعيب الارنؤوط في تخريجه للحديث تحت رقم 2879 من مسند الإمام أحمد: إسناده قوي على شرط مسلم

له، تجسدت في نوعيه التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي اللذين في إطارهما ترعرعت مختلف آليات قراءة القرآن الكريم لاحقا".[1]

3. **الطور الثالث**: كان من أبرزها نشوء المدارس الكلامية والمناهج الفلسفية والمشارب الصوفية مما ترتب عليه تطورا في آليات ومناهج قراءة النص القرآني حيث كان المنهج الكلامي الذي انصبت قضاياه حول العقيدة الإسلامية دفاعا وردا للشبهات الواردة بالخصوص على الآيات المتشابهات إذ كان من أبرز رواد المنهج الكلامي المعتزلة والأشاعرة، كما كان التأويل الفلسفي انطلاقا من منازع عقلية وبراهين منطقية حاول فيها رواده قراءة النص القرآني وإيجاد توافقات بينه وبين النظر العقلي وعن طريق تحديدات تأويلية كان من أبرز روادها الفيلسوف ابن رشد في كتابه (فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال)[2]

كذا المنهج الصوفي الذي انشغل بثنائية الظاهر والباطن فأنتج قراءات للنص القرآني مؤسسة على المعرفة الكشفية والتجربة الوجدانية حيث كان من أبرز أقطابه الشيخ محمد محي الدين ابن عربي الذي أرسى دعائم ما يسمى بالتفسير الإشاري إذ كان رائدا فيه.[3]

وعليه فإن هذه المرحلة تعد من أهم المراحل التي أنتجت زخما معرفيا لقراءة النص القرآني ومن مناحي ومناهج عديدة كلاميا وفلسفيا وصوفيا، كان لها التأثير الامتدادي لما بعدها من المراحل وإلى الواقع الفكري المعاصر.

4. **الطور الرابع**: حيث تعددت المناهج المعرفية وتطورت آليات القراءة ضمن الحقول الغربية والمؤسسة على الرؤية الاستشراقية إذ اهتمت بالفهم القرآني انطلاقا من أهداف إما علمية وهي قليلة أو ذات خلفية إيديولوجية في معظمها، مما أنتج رد فعل من المدرسة العقلية الإصلاحية داخل الحقل الإسلامي كجهود كل من الإمامين جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده اللذين استدعيا القراءات التأويلية للنصوص القرآنية وفق المنهج الكلامي الأشعري والاعتزالي وباستثمار الفكر العقلي فيهما لإنتاج رؤية عقلية مستجدة تحقق التوازن بين العقل والنقل وتؤسس للقابلية

---

[1]- حمادي هواري، رسالة دكتوراه بعنوان "النص القرآني وآليات الفهم المعاصر" ، المقدمة ص د.

[2]- انظر دراسة وتحقيق محمد عابد الجابري عنه.

[3]- ينظر عبد الباقي مفتاح، كتاب "شروح على التفسير الإشاري" للشيخ محمد محي الدين ابن العربي، ج4.

التجديدية للنص القرآني ضمن الأطر والقواعد العقلية والشرعية، يقول الدكتور حمادي هواري : "وبالتالي قد تبلورت في الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر الأسس الأولى لما تسمى بالخطابات النهضوية على وجه الخصوص التي حاولت استلهام شروط التحضر والتمدن بالدرجة الأولى كأرضية تتحرك فيها مسألة الاجتهاد وإعمال العقل كمنطلق للتعامل مع النص القرآني رغم أنها في مسألة آليات فهم النص القرآني ظلت وفية للمناهج الكلاسيكية أي التفسير والتأويل إلا أنها قد أضافت إليهما بعض العناصر توسع دائرة التأويل وتنفتح على الآخر وتستفيد من العلم حيث تبني فهمها للقرآن الكريم من التغيرات الحاصلة التي تصب في مجملها في هاجس تقدم الغرب وانحطاط المسلمين للبحث عن سبب يخرج العرب من مأزق التخلف وهو ما جعل قراءتها للقرآن سلفية أم إصلاحية هدفها انتشال الشعوب من براثن التخلف وإلحاقها بقطار التمدن" [1]

5. **الطور الخامس:** والذي هو في النصف الثاني من القرن العشرين ونتيجة لتطور الفكر الغربي معرفة ومنهجا تأثر كثير من المفكرين المسلمين بأبحاثه الفلسفية والعلمية مما انعكس على الدراسات القرائية التراثية وكذا التجديدية، حيث انتقدوا آليات الفهم التراثي وباستصحاب مناهج قراءة النصوص الدينية الواردة في الحقول الاستشراقية وكذا الحداثية الغربية من مثل المناهج التاريخية والأنثروبولوجية والتفكيكية والبنائية والألسنية وغيرها من الآليات التي أنتجت ظاهرة إشكالية أشكلت المعرفة حول الوحي والظاهرة القرآنية ليس أدل عليها من محاولة المفكر الجزائري محمد أركون الذي يعد نموذجا تمثليا لتطور عقلية الفكر العربي والإسلامي تأثرا بالفكر الحداثي الغربي وتأثيرا في الفكر العربي الإسلامي خصوصا حول مركزية الاستقاء والتوجيه في الحضارة الإسلامية بكونه القلب المعرفي النابض ألا وهو النص القرآني.

[1] – حمادي هواري، مقدمة رسالته للدكتوراه "النص القرآني وآليات الفهم المعاصر"، صفحة هـ

المطلب الثاني: مفهوم النص القرآني وآلياته عند محمد أركون[1]

تعد إشكاليات القراءة للنص القرآني وآليات الفهم المعاصر فيه من أهم الشواغل المعرفية التي أرقت بال الكثير من الباحثين الغربيين عامة والعرب منهم خاصة الذين افتتنوا بمناهج الفكر الاستشراقي وتعلقوا بالنماذج التأويلية الغربية حتى صار لهم رؤى مدرسية ينافح عنها تلاميذ في منابر وأقلام تعمل على التنظير والتأصيل لتلك المشاريع.

وإن من بين تلك المشاريع التي لاقت استقطابا واستعطافا هو المشروع الأركوني الذي نمى في بيئة أوروبية متحررة وجامعة فرنسية عريقة داعمة ومشيدة لكل فكر يستقي جذوره الحداثية من المنظومة الغربية وفي ذلك يقول الدكتور مرزوق العمري عن محمد أركون: "بأنه أكثر الباحثين الحداثيين اهتماما بالقراءة المعاصرة بالنص الديني، يشهد له بذلك أنصاره وخصومه على السواء، فهو من أصحاب المشاريع، والمشروع الذي يسعى أركون إلى تأسيسه هو مشروع نقدي يهدف إلى دراسة شروط صلاحية كل المعارف التي أنتجها العقل الميتافيزيقي والمؤسساتي والسياسي الذي فرض عن طريق ما يدعوه أركون بالظاهرة القرآنية أو الظاهرة الإسلامية وذلك ضمن الإطار العام الذي يشكل أحد مواضيع الحداثة الغربية وهو الظاهرة الدينية"[2].

---

[1] - ولد محمد أركون عام 1928 بقرية توريرت ميمون بأعالي جبال جرجرة في منطقة القبائل الكبرى بالجزائر أين قضى طفولته بها، وبدأ يتعلم اللغة الفرنسية وعمره سبع سنوات في المدرسة الابتدائية، واصل دراسته الثانوية في وهران لدى الآباء البيض التبشيرية، درس الأدب العربي والقانون والفلسفة بجامعة الجزائر، انتقل إلى جامعة الصربون في باريس إذ اشتغل واهتم بفكر المؤرخ والفيلسوف ابن مسكويه الذي تأثر به وبجهوده النقدية ، دفعه تأثره بهذا الفيلسوف وبمشروعه أن يجعله موضوعا لأطروحته الموسومة ب"نزعة الأنسنة في الفكر العربي، جيل مسكويه والتوحيدي" سنة 1968. وقد عمل بين 1961-1991 أستاذا جامعيا في الصربون، وعضوا في مجلس إدارة معهد الدراسات الإسلامية في لندن عام 1993، وعمل أستاذا زائرا في العديد من الجامعات حول العالم، كما أصبح منذ عام 2000 مستشارا علميا للدراسات الإسلامية في مكتبة الكونغرس بواشنطن العاصمة. توفي في 14 سبتمبر 2010 عن عمر ناهز 82 عاما بعد معاناة مع المرض في العاصمة الفرنسية، ودفن بالمغرب. من بين مؤلفاته العديدة التي كتبها باللغة الفرنسية أو بالإنجليزية التي ترجمت إلى العديد من اللغات من بينها العربية نذكر: "الفكر العربي" ، "الإسلام بين الأمس والغد"، "تاريخية الفكر العربي الإسلامي"، "الفكر الإسلامي قراءة علمية"، "القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني"، "الفكر الأصولي واستحالة التأصيل"، "الفكر الإسلامي نقد واجتهاد"، "نزعة الأنسنة في الفكر العربي"، "العلمنة والدين"، "الإسلام أصالة وممارسة". لخصنا هذه الترجمة من عند كل من كيحل مصطفى "الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون"، ص23، وخزعل الماجدي "علم الأديان تاريخه مكوناته مناهجه أعلامه حاضره مستقبله"، ص323.

[2] - مرزوق العمري، كتاب "إشكالية تاريخية النص الديني" ، ص155.

ويمكننا أن نتلمس بدايات تبلور المشروع الأركوني مع ظهور عمله الأكاديمي الذي هو رسالته للدكتوراه الموسومة ب: "نزعة الأنسنة في الفكر العربي، جيل مسكويه والتوحيدي" ، والتي تعد الأساس لما جاء به أركون من مؤلفاته كلها التقييمية والتقويمية ولما أتت به من جرأة في تناول نقد العقل الإسلامي ليصل به إلى النقد الشمولي لكل التراث الإسلامي بما في ذلك النص القرآني، يقول الدكتور عبد المجيد خليقي : "لقد عمل أركون على تحديد العقل العربي الإسلامي أولا حتى يتسنى له بعد ذلك الانكباب على إعادة قراءة التراث قراءة شاملة، فالعقل عند أركون يختلط فيه الموضوع بالمنهج مما يعسر ضبط المشروع الأركوني في كليته فهذا المشروع يعد واحدا من المشاريع الفكرية الكبرى التي حاولت مقاربة التراث العربي الإسلامي مقاربة علمية فهو مشروع يوظف ترسانة من المفاهيم ويستخدم عدة منهجية متعددة تمتح من الفكر الغربي"[1]

وانطلاقا من جملة مناهج حداثية وأدوات إجرائية اعتمدتها القراءة الأركونية في أشكلة النص القرآني فإن القراءة الحداثية له تختلف عن القراءات التراثية التي لا تخرج عن النص في تفسيره الأحادي والثابت فإن هذه القراءة مما يستعيض عنها محمد أركون بتأسيس قراءة جديدة تقوم على الاستفادة من المناهج المعاصرة توظف فيها العلوم الإنسانية كالألسنيات والأنثروبولوجيا والسيميائيات وعلم النفس الاجتماعي والأنثربولوجيا التاريخية وعلم مقارنة الأديان، يقول الدكتور قطب الريسوني: "والحق أن المشروع الأركوني لم يقتصر في ممارسته النقدية على تعقب التفاسير التقليدية ومناهج التأويل التراثي بل تجاوز ذلك إلى الوحي القرآني أو الحدث القرآني على ما يسميه أحيانا فيقوم بتأويله وقراءته من جديد مستخدما لذلك أحدث المنهجيات والعقلانيات في المقاربة والتحليل معيدا النظر في مفهوم الوحي نفسه في ضوء علاقته وتفاعله مع الواقع والتاريخ"[2].

كما أن المفهوم التاريخي الذي بلورته العلوم الإنسانية من أجل قراءة النص الديني جعل من أركون (يقول بتاريخية النص الديني)[3]، حيث قال في كتابه (الفكر الإسلامي قراءة علمية): "أريد لقراءتي هذه

---

[1]– عبد المجيد خليقي، مقال "نقد العقل الإسلامي: مدخل إلى دراسة المشروع الفكري عند محمد أركون" ، ص597، منشور في مركز دراسات الوحدة العربية تحت عنوان الثقافة العربية في القرن العشرين، حصيلة أولية، ط2، بيروت، 2013

[2]– قطب الريسوني، كتاب "النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر" ، ص215.

[3]– مرزوق العمري، كتاب "إشكالية تاريخية النص الديني"، ص157.

أن تطرح مشكلة لم تطرح عمليا قط بهذا الشكل من قبل الفكر الإسلامي ألا وهي تاريخية القرآن وتاريخية ارتباطه بلحظة زمنية وتاريخية معينة حيث كان العقل يمارس آليته وعمله بطريقة محددة"[1]

ومصطلح التاريخية بما يحمله من منطلقات وضعية يهدف كما يقول الدكتور مرزوق العمري إلى: "نزع صفة القداسة عن النص الديني بما فيه النص القرآني وهذه إحدى أمثلة اللا مفكر فيه"[2].

هذا التعامل الأركوني مع النص القرآني هو الدافع الأنثروبولوجي لإعادة النظر في قداسته، وكما يقول الدكتور كيحل مصطفى : "ويقترح أركون استراتيجيات معرفية وتاريخية لتفكيك آليات التقديس والتعالي، فأنسنة النص تقوم على فلسفة محايثة تعارض فلسفة التعالي والمفارقة وتقطع مع كل فلسفة دينية تحيل الحياة البشرية على عالم آخر غير هذا العالم الذي يعيش فيه الإنسان وذلك يقتضي إعادة فحص الكثير من المفاهيم من مثل : أم الكتاب، الوحي، الخطاب القرآني، القرآن النص، المصحف، الخطاب النبوي...الخ، ويمكننا أن نحدد في هذا السياق ثلاثة مفاهيم كبرى عند أركون تكشف عن استراتيجيته في تجذير النص في التاريخية وهي: مجتمعات الكتاب / الكتاب، الشفهي / المكتوب، الحدث القرآني / الحدث الإسلامي، فهذه المفاهيم حسب أركون تبين كيف تم خلع طابع التقديس والمفارقة والتجريد والتعالي على الكثير من التصورات والمعاني التي هي ممارسات بشرية، إنسانية محايثة"[3]

ومن منطلق أشكلة مفهوم الوحي القرآني الذي يقتضي في المشروع الأركوني وضعه على محك التحليل والنقاش بعيدا عن الحقول التقليدية التقديسية والغيبية حيث المفهوم القرائي للقرآن بآليات جديدة وفهوم مستجدة خارجة عن الدغمائية التي سيجت النص القرآني، إلى انفتاحية تستثمر فيها الطفرة العلمية الحاصلة في الآونة الأخيرة إذ سلك محمد أركون مسلكين متكاملين الأول نقد المفهوم التراثي للوحي المرتبط بالنص القرآني والثاني تأسيس المفهوم الجديد الذي يعد مفهوما حداثيا حديثا له.

[1]- محمد أركون، كتاب "الفكر الاسلامي قراءة علمية"، ص212.

[2]- مرزوق العمري، كتاب "إشكالية تاريخية النص الديني"، ص160.

[3]- كيحل مصطفى، كتاب "الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون" ، ص159.

الفرع الأول: نقد المفهوم التراثي للوحي القرآني

في إطار التمهيد لتأسيس رؤية فهومية جديدة للوحي القرآني قام أركون قبل ذلك بنقد الرؤية التراثية المحتفة به والمهيمنة عليه مستصحبا المنهج التاريخي الابستمولوجي حيث يقول: "إننا ندرك لماذا يشكل القرآن التاريخية بالنسبة إلى الفكر الاسلامي في نقطة انطلاق إلزامية من منهجي العلموية ويبدو في الواقع أنه لا مكان في المستقبل لخيار وهمي بين حقيقة موحى بها وحقيقة يحصل عليها بطريق جهد تاريخي للمعقولية، ولا ريب أن إنسان اليوم ما يزال يتأثر بنداءات الألفيانيين لكن الاقتناع القائم على برهان تجريبي يميل إلى الحلول في ميدان التطبيق العلمي على الأقل محل المشاركات الوجدانية في الاعتقادات التقليدية"[1].

من هذا التصور للتاريخية المحتفة بالواقع القرآني نقد أركون المفهوم الكلاسيكي حيث يمكن إجمال ذلك في التقويضات التالية:

- **التقويض الأول**: حيث يؤكد أركون أن معاني الوحي هي أشمل وأوسع مما هي عليه في المنظومة التراثية والمثبتة في مدونات الفكر الإسلامي إذ أن الوحي القرآني ذو مرتبتين : مرتبة عليا والمتمثلة في العالم العلوي وهو كما قال: "كلام إلهي أزلي لا نهائي محفوظ في أم الكتاب"[2]، ومرتبة سفلى في العالم الأرضي ويمثل (الجزء المتجلي والمرئي والممكن التعبير عنه لغويا والممكن قراءته)[3] .

حيث يؤكد أن هذا المنظور الشمولي غائب لأنه كما قال : "عمليا مشطوب أو غائب عن التصور الشائع عن القرآن بصفته كلام الله والوحي والكتاب المقدس والشريعة الإلهية في وقت واحد"[4]

كذلك أن : "الآيات المعبر عنها باللغة العربية تمثل الكلام الأصلي والتركيب النحوي والصرفي لله نفسه"[5].

---

[1]- محمد أركون، مقال في مجلة الأصالة ج17 العدد 50/49 بعنوان "الإسلام والتاريخية والتقدم" ، ص27.

[2]- محمد أركون، كتاب "القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني" ، ص22.

[3]- المرجع نفسه، ص22.

[4]- محمد أركون، كتاب " أين هو الفكر الاسلامي المعاصر" ، ص93

[5]- محمد أركون، كتاب "القرآن من التفسير الموروث إلى نقد الخطاب الديني" ، ص22.

وبالتالي "ينطلق عمل محمد أركون على النص القرآني من افتراض (الحدث القرآني واقعة لسانية، ثقافية ودينية ...) قابلة للقراءة على هذا المقتضى"[1] .

هذا المفهوم الشمولي للوحي هو أوسع مما تضمنه المصحف الرسمي والذي يعرفه بأنه: "عبارة عن مجموعة من العبارات الشفهية في البداية ولكنها دونت في ظروف تاريخية لم توضع حتى الآن أو لم يكشف عنها النقاب ثم رفعت هذه المدونة إلى مستوى الكتاب المقدس بواسطة العمل الجبار والمتواصل للأجيال من الفاعليين التاريخيين واعتبر هذا الكتاب بمثابة الحافظ لكلام المتعالي لله والذي يشكل المرجعية المطلقة الإجبارية التي ينبغي أن تتقيد بها كل أعمال المؤمنين وتصرفاتهم وأفكارهم"[2].

كما يقول أيضا عنه: "أفضل أن أدعوه بالنص الرسمي المغلق والذي استهلكته الأمة المفسرة، عاشت عليه طيلة قرون وقرون وسوف تستهلكه أيضا طيلة فترة مقبلة لا يعرف إلا الله مداها بصفته تنزيلا أو وحيا معطى"[3].

إن هذه المقولات يمكن لقارئها ممن لا يملك خلفية إسلامية صحيحة أن تزحزح قناعته حول مصدرية القرآن الكريم وهذا أمر خطير إذ يقول الدكتور مرزوق العمري عنه : "وهذا الموقف لا يعدو أن يكون في نظري إلا امتدادا لموقف المستشرقين أكثر مما هو بحث موضوعي، وما التناقضات التي وقع فيها أركون إلا دليل على ذلك، وحتى يتاح لأركون عملية زحزحة شاملة للقناعات الاسلامية إزاء النص القرآني بعد أن غير مصطلح الوحي وشكك في صحة المصحف نجده يبرر تشكيكه هذا بالبحث في تاريخ القرآن الكريم من خلال تناوله مسائل عديدة "[4]

- **التقويض الثاني**: تدوين المصحف حيث يرى قلة المصادر الموثوقة التي يعتبرها نادرة[5] وأن النسخ المعتمدة لم يرجع فيها إلى جميع النسخ وأن هناك نسخ أهملت[6]

---

[1]- عبد الإله بلقزيز، كتاب "نقد التراث"، ص392.

[2]- محمد أركون، كتاب "الفكر الأصولي واستحالة التأصيل"، ص41.

[3]- المرجع نفسه، ص57.

[4]- مرزوق العمري، كتاب "إشكالية تاريخية النص الديني"، ص163.

[5]- محمد أركون ،كتاب " الفكر الأصولي واستحالة التأصيل"، ص53.

[6]- المرجع نفسه، ص45.

كما أن ترتيب السور في نظر أركون غير صحيح حيث يقول عنه بأنه : " لا يخضع لأي ترتيب زمني حقيقي ولا لأي معيار عقلاني أو منطقي وبالنسبة لعقولنا الحديثة المعتادة على منهجية معينة في التأليف والإنشاء والعرض القائم على المحاجة المنطقية، فإن نص المصحف وطريقة ترتيبه تدهشنا بفوضاها"[1]

لهذا يعتبر أركون بأن : "هناك فرقا في عملية تدوين وجمع القرآن الكريم حيث كان نصا شفويا في عهد النبي عليه الصلاة والسلام محفوظ في الصدور ثم تحول إلى نص مكتوب مما يستلزم النيل من المعنى كل ذلك من تأخر الكتابة الإملائية التي تمت في عهد الحجاج الذي أصدر قراره بتثبيت الكتابة الإملائية بعدما مرت مدة على تدوينه"[2]

وهذا خلاف لما أجمع عليه علماء المسلمين قاطبة من أن النبي عليه الصلاة والسلام قد توفي والقرآن الكريم كله مجموع من بدايته إلى نهايته.[3]

وكما يقول الدكتور مرزوق العمري: "إن هذه الجوانب التي يقف عندها أركون في مناقشته لمسألة تدوين المصحف تولد خلفية استفهامية تزحزح ما هو ثابت وتدفع للاهتمام بالنص القرآني في اتجاه تاريخي وضعي وهنا ما يمكن من القول بتاريخية النص القرآني التي هي إحدى رهانات محمد أركون كما تمت الإشارة إلى ذلك"[4]

- **التقويض الثالث:** إن التصور التراثي الدغمائي كما يصفه أركون حول النص القرآني من كتاب أزلي أبدي متعال لا نهائي ولا تدركه عقول البشر إلى كتاب عادي أو مصحف يلمس باليد ويفتح ويقرأ حيث قال: "وهكذا تم تحويل كلام الله المتمثل بنطقه الشخصي ذاته وبصفته أزليا، أبديا، متعاليا، لا نهائيا وغير قابل للاستفادة من قبل أي جهد بشري إلى كتاب عادي مادي نلمسه باليد ونتحسسه

[1]- محمد أركون، كتاب "الفكر الإسلامي نقد واجتهاد"، ص86.
[2]- محمد أركون، كتاب "الفكر العربي" ، ص30.
[3]- ينظر إلى ما حققه الإمام محمد عبد العظيم الزرقاني عن أطوار جمع القرآن في عهوده الثلاثة: عهد النبي عليه الصلاة والسلام وعهد أبي بكر وعهد عثمان رضي الله عنهما، ففيها البيان والبرهان عن ذلك، ص185/184 من كتاب "مناهل العرفان" للزرقاني.
[4]- مرزوق العمري، كتاب "إشكالية تاريخية النص الديني"، ص166.

ونفتحه ونقرأه، ولكنه يتمتع في الوقت عينه بمكانة لاهوتية بصفته كتابات مقدسة وشرعا مقدسا وأخلاقا مقدسة ومعرفة متعالية أو تخلع التعالي على الأشياء"[1]

ليصل من خلال هذا التصور النقدي للتفسيرات الكلاسيكية عن الوحي القرآني إلى إعادة قراءة النص في إطار منهجي يعمل المناهج الحديثة التي طبقت في الغرب على الدراسات اللاهوتية (الانجيلية والتوراتية) مع مراعاة الآليات المعرفية ذات النزعة الإنسانية كاللسانيات والسيميائيات والأنثروبولوجية، بكونها في التصور الأركوني البديل العلمي والموضوعي عن الفهم التراثي للقرآن الكريم وزحزحته بتأسيس مفهوم جديد له خارج عن الدغمائية والطوباوية.

الفرع الثاني: التأسيس الجديد لمفهوم الوحي القرآني :

سعى محمد أركون بعد نقده للمفهوم الكلاسيكي لحقيقة الوحي القرآني إلى تأسيس تصور جديد له وبآليات فكرية معاصرة، حيث يمكننا استنتاج بناءاته الجديدة عن النص القرآني فيما يلي:

- **البناء الأول:** استعاد أركون المنهج الألسني للتدليل على الفوارق المنهجية بين مفهوم الوحي الشامل وبين القرآن الكريم كمصحف جمع ودون بصفة رسمية في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه بعد حرق المصاحف الأخرى حيث يقول: "من الناحية الألسنية أو اللغوية يمكن القول بأن القرآن عبارة عن مدونة منتهية ومفتوحة من العبارات والمنطوقات المكتوبة باللغة العربية، وهو مدونة لا يمكن أن نصل إليها إلا عن طريق النص الذي ثبت حرفيا أو كتابيا بعد القرن الرابع هجري / العاشر ميلادي، إن كلية النص المثبت على هذا النحو كانت قد عوملت بوصفها كتابا واحدا أو عملا متكاملا"[2]

هذه التحديدات الألسنية واللغوية عن القرآن الكريم بكونه: (مدونة منتهية ومفتوحة من العبارات، والمنطوقات المكتوبة باللغة العربية) هي اصطلاحات معجمية ألسنية ترمي إلى بيان كما يقول الدكتور كيحل مصطفى إلى : "التمييز بين المصحف والخطاب القرآني، فالمصحف هو كتاب مؤلف من صفحات سجل عليها الخطاب القرآني والنصوص التي يتكون منها المصحف رسخت على هيئة مدونة نصية رسمية مغلقة (رسمية لأنها ناتجة عن جملة من القرارات المتخذة من طرف السلطات المعترف بها من

[1]- محمد أركون، كتاب "القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني"، ص26

[2]- المرجع نفسه، ص14/13

قبل الجماعة ومغلقة لأنه لم يعد مسموحا لأي طرف أن يضيف إليها أو يحذف أي كلمة أو يعدل في المصحف، أي قراءة معترف بها)"[1]

كما أن هذا الالتزام يؤول إلى تأثير القرار السياسي في إنشاء المدونة القرآنية ليهدف في منظور العلوم الإنسانية إلى إعمال فكرة الزحزحة حيث أشكلت المفهوم بين الوحي والقرآن الكريم المقروء والمتلو لإثبات تعددية الدلالة الوحيية وأنها أشمل وأعم من النص اللفظي للقرآن الكريم.

- **البناء الثاني**: وظف فيه أركون المنهج التاريخي والتفكيكي للمقارنة بين الديانات لتأسيس مفهوم جديد للوحي القرآني حيث الرجوع إلى اللحظات الأولى لتنزلات القرآن وتحليلها بأدوات النقد التاريخي ومناهج علم الأديان المقارن كذا التحليل الفينومولوجي لاكتشاف المفهوم الارثوذكسي للوحي وتطبيق ذلك على الحالة الإسلامية إلا أن تعميم هذا التحليل وجعله قاعدة مطردة بين الفكر اللاهوتي الكنسي وبين المنظومة الإسلامية ونظرتها للنص القرآني جعل كما يقول الدكتور عبد الإله بلقزيز: "أن تعميم هذه القاعدة على الحالة الدينية الإسلامية كما تطلع محمد أركون إلى ذلك أمر في منتهى الصعوبة والامتناع ذلك أن إخضاع النص القرآني للقراءة التاريخية النقدية يصطدم بشعور ديني جماعي متمسك بإلهية مصدر النص وحرمته وتعاليه عن أي مساءلة والامتناع هذا عام ومتعدد الصور: تاريخي وثقافي واجتماعي ونفسي وسياسي وتجلياته عامة في بيئة الجمهور وفي بيئة النخب وإذا كان مستشرقون اجترؤوا على دراسته بهذه الأدوات النقدية التاريخية مثل نولكه وشيفالييه وبلاشير فإنه لا يسع باحثا مسلما مؤمنا كان أو غير مؤمن وأيا تكن حدوده في الموضوعية والتجرد العلمي أن يقدم على مثل هذه القراءة متجاهلا صعوبتها ونتائجها وآيُ ذلك أن محمد أركون لم تبلغ به جرأته حدا أكثر من القراءة اللسانية والسيميائية للنص بما هو معطى لغوي مادته لغة تاريخية قابلة للقراءة بأدوات التحليل اللغوي وهكذا ينتهي مشروع أركون لقراءة النص الديني عند منتصف الطريق بل عند بدايته، ليس عجزا في الرجل وأدواته بل لوعي منه بالاستحالة ليدخل الموضوع مجددا إلى منطقة الممتنع التفكير فيه"[2]

- **البناء الثالث**: يستعين أركون في قراءته للقرآن الكريم ولتأسيس مفهوم شمولي للوحي بجملة منهجيات متعددة وتطبيقها على النص القرآني حيث أخضع النص الديني كما أشار الدكتور مرزوق العمري إلى: "النقد التاريخي المقارن والتحليل الألسني التفكيكي وللتأمل الفلسفي المتعلق بإنتاج المعنى...

[1]- كيحل مصطفى، كتاب "الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون" ، ص319.

[2]- عبد الإله بلقزيز ،كتاب "نقد الذات" ، ص408.

وغير ذلك، وأركون بتوظيفه لهذه المناهج كان يهدف إلى تأسيس إسلاميات تطبيقية من أجل التعرف على الظاهرة الدينية"[1]

وليصل من كل ذلك إلى مشروعه الفكري وهو تأسيس إسلاميات تطبيقية وعن طريق إزاحة الوظائف الدينية المهيمنة على النص القرآني والتي أسسها العلماء والفقهاء عبر القرون من مثل: أسباب النزول وتدوين القرآن وجمعه وكتب الحديث وفنونه وغيرها من العلوم الشرعية التي يرى فيها أركون أنها أطرت بسياج ايديولوجي تطلب زحزحتها في ما اصطلح عليه بالتفكير في اللامفكر فيه.

[1]- مرزوق العمري، كتاب "إشكالية تاريخية النص الديني" ، ص158.

الاستنتاج:

وعليه فإن المفهوم الجديد الذي عمل محمد أركون على إظهاره كمشروع معاصر يتناول الحقيقة القرآنية بكونها وحيا شموليا وظاهرة تاريخية أعم مما هو محصور في المفهوم الكلاسيكي عن المصحف القرآني أو مما هو مكتوب في الكتب السماوية الأخرى كالإنجيل والتوراة، بل هو مفهوم واقعي أو مدون أو محكي أو شفوي أو غير شفوي من الوقائع المحتفة بالوحي والتي في ضوئها يمكننا فهم النصوص وإعادة اكتشاف ظاهرة الوحي اقرآني.

وباستثمار العلوم الإنسانية والاجتماعية وفق منهجيات علمية متعددة ليصل بها إلى ما اصطلح عليه أركون بالإسلاميات التطبيقية المزحزحة لمفاهيم القداسة والتعالي المنسوجتين في العقلية الاسلامية والموظفة في جل مباحث العلوم الاسلامية كعلوم القرآن وعلم أصول الفقه، واستعادة الاجتهاد العقلي بالحفر في مضامينها وعن طريق آليات جديدة لإعادة قراءة النصوص الدينية بما يتلاءم والتطور العلمي والفكري والمنجز أيضا في الفكر الحداثي الراهن.

المبحث الثاني:

المناهج التأسيسية للنص القرآني

في المشروع الأركوني

تمهيد:

يرى المفكر محمد أركون بأن الطريق إلى تحديث الفكر العربي الإسلامي لابد أن يكون من إحداث قطيعة ضد العوائق التي تكبل التراث وتجمده والتي تظافرت كل من السلطة السياسية والسلطة الدينية على تكريسه وتأمين استمرار فاعليته على العقول حيث استنفذت أدواته المعرفية وطاقاته التفسيرية، إلى نظام عقلي حداثي يستلهم التحرر الذاتي عن النظم اللاهوتية التي هيمنت على العقل الكنسي وكذا الديني في المنظومة الإسلامية، يقول محمد أركون: "إنه من غير الممكن أن نقيم روابط حية مع التراث ما لم نتمثل أو نضطلع بمسؤولية الحداثة كاملة وبالمقابل فإنه لا يمكن لنا أن نسهم في إنجاز الحداثة بشكل ابتكاري إذا ما استمرينا في الخلط ما بين التراث التاريخي والتراث الميثولوجي (الأسطوري)"[1].

هذا الخلط الابستمولوجي كما أشار إليه أركون بين التراث التاريخي والتراث الأسطوري (الخيالي) هو الذي أنتج حقيقة دغمائية ثابتة وسرمدية حيث أطرت في أبنية اللامفكر فيه مما شكل سياجا محرما على كل مجدد وفي هذا يقول الدكتور عبد المجيد خليقي : "إن أركون يجترح (في تطلباته الحداثية) أداة منهجية أخرى هي الاختراق، فهذا المفهوم يعني –بحسبه– اختراق المفاهيم والمصطلحات واللغة التي باتت تشكل سياجا محرما على كل مجدد، وهذا الاختراق يجب ألا يؤول إلى الإلغاء، وتعقبه أداة أخرى تتمثل في الزحزحة التي تفيد خلخلة البنيات المتكلسة والبداهات المتحجرة وتطاول العقل والإيمان والفرد بهدف تجاوزها، وهذه هي الأداة الثالثة في هذا الثالوث المنهجي، فالاختراق والخلخلة والتجاوز هي مفاهيم إجرائية يوظفها أركون بهدف تجاوز الإسلام الأقنومي والانخراط في إسلام حداثي، إلا أن هذا الثالوث المنهجي لا يطبقه أركون بكيفية آلية على كل المفاهيم التراثية بل يراعي في هذه العملية مسألة الخصوصية، فالإيمان مثلا ينبغي أن يتعرض للخلخلة من دون التجاوز لأن الايمان بحسبه ضروري في ظل نظام العولمة، وهذه نقطة لا يمكن تجاوزها"[2]

---

[1]- محمد أركون،كتاب "تاريخية الفكر العربي الإسلامي"، ص59

[2]- عبد المجيد خليقي، مقال بعنوان "نقد العقل الإسلامي" ، مشروع عمل جماعي بعنوان "الثقافة العربية في القرن العشرين حصيلة أولية" بإشراف د. عبد الإله بلقزيز، إصدار مركز الوحدة العربية، ص597

وعليه فإن البحث في المشروع الأركوني يدعونا إلى معرفة الأصول المرجعية والتأسيسات المنهجية التي استند إليها أركون من فكر ابتكاري حداثي وباستقطاب للعلوم الإنسانية الحديثة كأدوات إجرائية في قراءة العلوم الدينية عموما وقراءة النص القرآني خصوصا، ومن أجل استنارة الفكر العربي والإسلامي لا بد من قبول الحداثة وتحليلها وإبراز ما أتت به معارفها الموضوعية وأدواتها المنهجية المتعددة إذ في التركيز على هذه العدة الحداثية ومن تعدد مناهجها تقليل من هامش الخطأ والعمل على تجاوز الاستخدامات الايديولوجية في القراءات القرآنية وفي ذلك يقول محمد أركون: "إذا ما قبل المسلمون المعاصرون أن ينفتحوا على هذه المنهجيات والعلوم الحديثة فإنهم يستطيعون زحزحة الصخرة من مكانها وتجديد نظرتهم جذريا للظاهرة الدينية"[1].

وفي إطار الإشارة إلى الأسس الأولية التي شكلت المشروع الأركوني يقول الأستاذ حاجي رشيد : "إن أصول المشروع التجديدي ومنطلقاته عند أركون قد تبلورت وتأسست على مرتكزات فلسفية وعلمية منها البنوية (structuralism)، التفكيكية (deconstruction)، التأويلية الهيرمينوطيقا (hermeneutics)، الأركيولوجيا الحفريات (Archéologie) الخ، فأركون قد وجد ضالته لتأسيس مشروعه في هذه المناهج الحديثة أو بصفة أعم في العلوم الإنسانية" إلى أن يقول : "فأركون أراد الانغماس في هذه المناهج من أجل أن تحرر من أرثوذوكسية العصور الوسطى التي لم تنتج غير الجمود والانسداد والمخرج من هذا هو إعادة النظر في المنظومة العقدية للمسلمين وفي الاجتهاد في فهم المعيقات الحقيقية لشعار تطبيق الشريعة وفي التفكير الواقعي الذي يعيد رسم حدود تدخل الدين في الشؤون المدنية كل هذا كان بغرض مواكبة التطور العلمي والمنهجي الذي وصل إليه الفكر الغربي"[2]

وبالتالي فإذا ما أردنا أن نقف على المفاتيح المدخلية والتي تؤسس الولوج للمشروع الأركوني في عمومه ولنظرته للنص القرآني بخصوصه، فإنه يستلزم علينا تحليل الأبنية الفكرية واستقرائها لفهم المرتكزات المنهجية التي أقام عليها الفيلسوف أركون أسسه المعرفية ويمكن حصرها في كل من (المنهج البنيوي، المنهج التفكيكي، المنهج الأريكولوجي، المنهج الهيرمنوطوقي)، وهي في مجموعها أدوات إجرائية حداثية حديثة لها خلفياتها وامتداداتها على الفكر الإنساني وعلى القراءات الدينية بعمومها .

[1]- محمد أركون، كتاب "الإسلام، أوروبا، الغرب، رهانات المعنى وإرادات الهيمنة" ، ص196

[2]- حاجي رشيد، مذكرة ماجستير "النص الديني والمناهج الغربية في الفكر العربي المعاصر (محمد أركون نموذجا)"، قسم الفلسفة، جامعة وهران، ص45.

المطلب الأول: المنهج البنيوي في الفكر الأركوني

تعد البنيوية حركة فكرية معاصرة متجاوزة للمناهج التاريخية والفلسفية المؤسسة على تحليل الظواهر الخارجية والظروف الاجتماعية، فالبنيوية تقوم بدراسة اللغة في ذاتها وبمعزل عن أي مكون فكري خارج عن الإطار اللغوي ، حيث يعود ابتداع المنهج البنيوي وظهوره إلى العالم السويسري فردنان دي سوسير (1875-1913) الذي يرى بأن اللغة نظام من الرموز والعلامات والتي يعبر بها عن الأفكار لتحقيق عملية التواصل، تقول الأستاذة يزة عبد الرحمان مصباح : "تعد الدراسات التي قدمها فردنان دي سوسير من أهم الدراسات في مجال اللسانيات البنيوية، حيث دعا إلى دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها فاللغة ليست مجرد ألة مادية صوتية ، بل إنها تعد نظاما لغويا مشتركا بين الجماعات اللغوية التي تنتمي لرقعة جغرافية متشابهة من أجل تحقيق عملية التواصل"[1]

من خلال ذلك ندرك أن المنهج البنيوي هو المنهج الألسني "باعتبار اللسانيات البنيوية أحد المدارس الهامة على صعيد الألسنية الحديثة وكون المنهج البنيوي يعتمد أساسا على التحليل الألسني والفونولوجي في صورته البنيوية "[2]

ويقول دي سوسير :"إن غرض الألسنية التزامنية العامة إنما هو تشييد المبادئ لكل منظومة لغوية أي العوامل التكوينية لكل حالة لغوية "[3]

وبالتالي فالمنهج البنيوي باهتمامه بالتحليل الألسني فانه يرمي إلى التخلص من كل ما هو غير لساني وغير علمي مثل التحليل الماورائي، كذلك يهدف إلى "مقاومة المقدس باعتباره فكرا أسطوريا منسيا ومحاولة بناء فكر نقدي يعتمد تعدد العقول وجدلية الوجود واعتماد المقياس الزمني والتاريخاني في بلورة رؤية نصية صحيحة بعيدة عن الإطلاق والانغلاق "[4]

---

[1]- يزة عبد الرحمان مصباح، مقال "البنيوية اللغوية عند فرديناند دي سوسير" ، مجلة كلية الآداب، العدد 14ديسمبر 2019، ص55، جامعة مصراتة

[2]- المرجع نفسه، ص55.

[3]- دي سوسير، كتاب "محاضرات في الألسنية العامة "، ص123

[4]- عز الدين معميش، كتاب "الحداثة والنص الديني"، ص96

هذا الاهتمام الالسني في المنهج البنيوي يرمي أيضا إلى اعتبار قراءة النص الديني عموما و القرآني خصوصا من "خلال إعطاء الأولوية للقراءة إلى درجة أننا نلمس أحيانا إلغاء كل القراءات السابقة واعتبار فهم النص الصحيح هو فهم القارئ "[1]

كذلك يرمي هذا المنهج بعد بيانه العام إلى جعل الإجراء اللغوي هو المركزية في الاستقلال الفكري ومن خلال تفريق النص القرآني بين كونه نصا لغويا وبين كونه نصا إلهيا فإن المنهج البنيوي الألسني واستعماله لآليات النقد والتأويل والتحليل يعتبر النصوص القرآنية آثار أدبية ودلالات لغوية مستقلة عن المصدر الإلهي إذ يهدف هذا الإجراء إلى أنسنة النص المقدس والتعامل معه كنص بشري .

وقبل التطرق إلى مؤثرات هذا المنهج على المشروع الأركوني يجدر بنا تعريف البنيوية لغـــة واصطلاحا

الفرع الأول: تعريف البنيوية لغة واصطلاحا:

أ. **لغة** : البنية هي من الفعل الثلاثي بنى، وهي بمعنى التشييد، قال ابن منضور (711هـ):"البِنية والبُنية ، ما بنيته وهو البنى و البنى ... البنية الهيئة التي بنيت عليها ... وفلان صحيح البنية أي الفطرة، وأبنيت الرجل أعطيته بنا وما يبتني به الأرض"[2]

وورد في المعجم الفريد لمعاني كلمات القرآن المجيد عن الكلمة المجموعة من حروف (ب ن ي) بما يفيد: "البني : نقيض الهدم، بناه يبنيهِ بَنْيًا وبِناءٌ وبُنيانًا وبِنْيَةً وبِنَايَةً والبِنَاءُ: المِبْنِيُ واسم الفاعل بَانٍ، واسم المفعول مَبْنِيٌ وجمع بناءٍ أبنيةٌ وجمع الجمع أبنيةٌ والبنية ما بنيتَهُ وجمعه البُنىَ وفي التنزيل﴿**وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا**﴾ [الشمس: 05] [3]

ب.**اصطلاحا:** يقول الأستاذ الدكتور عبد الله أحمد جاد الكريم حسن في مقال متعلق بالبنية والبنيوية ما مفاده عن المعنى الاصطلاحي للبنيوية وهي: "لقد اختلف الدارسون والنقاد في تبيان مفهوم البنيوية حتى البنيويون أنفسهم نجدهم يوردون لها تعريفات مختلفة وهي في معناها الواسع

[1]- مرزوق العمري، كتاب " إشكالية تاريخية النص الديني"، ص246.

[2]- لسان العرب لابن منظور، جذر بنى ج 14، ص94، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ

[3]- كامل محمد جرار ، "المعجم الفريد لمعاني كلمات القرآن المجيد" ، كتاب الباء، الجزء1، ص150.

(طريقة بحث في الواقع ليس في الأشياء الفردية بل في العلاقات بينها) وهذا ما ذهب إليه جان بياجيه وغيره، ويرى ليونارد جاكسون أن البنيوية هي القيام بدراسة ظواهر مختلفة كالمجتمعات، والعقول واللغات، والأساطير بوصف كل منها نظاما تاما أو كلا مترابطا أي بوصفها بنيات، فتتم دراستها من حيث أنساق ترابطها الداخلية لا من حيث هي مجموعات من الوحدات أو العناصر المنعزلة ولا من حيث تعاقبها التاريخي"[1]

هذا بالمفهوم العام، أما بالارتباط الخاص الذي أسسه مُنشِئ المنهج البنيوي دي سوسير الذي يستخدم كلمة (نسق) أو (نظام) للدلالة على معنى البنية والوجهة اللغوية اللسانية بأنها: "نظرية علمية تقوم على سيطرة النظام اللغوي على عناصره، وتحرص على الطابع العضوي لشتى التغيرات التي تخضع لها اللغة وأما علم اللغة البنيوي فيشير إلى التحليل اللغوي الذي يسعى إلى تأسيس نظم واضحة للعلاقات بين الوحدات اللغوية في البنية السطحية"[2]

من خلال التحديد المنهجي والمعرفي للبنيوية أمكننا فهم الارتكاز البنيوي على اللغة بكونها نظاما قائما على الرموز بحيث يتشكل هذا النظام من دال وهو المكون الصوتي ومدلول وهو المكون الذهني، ومن ارتباط الدال والمدلول يتولد المعنى على ما بينه دي سوسير في كتابه "محاضرات في الألسنية العامة"[3]

الفرع الثاني : تأثير المنهج البنيوي في الفكر الأركوني

ومنه نفهم مدى استناد المشروع الأركوني على اللغة وفق المنهج البنيوي الألسني مما جعله أنموذجا مهما في التأسيس للغة دينية عالمية جديدة عن طريق البحث في العلاقة بين اللغة والفكر متجاوزا بها الأبنية الأسطورية التي تشكل منها الخطاب الديني وفي ذلك يقول أركون : "إن اللغة هي نظام من العلامات (أو الخطاب الديني مشكل كليا من بنية مجازية أسطورية) فإن جميع القواعد والمجريات وأطر

[1]- أحمد جاد الكريم الحسن، مقال "البنية والبنيوية"، ص2، شبكة الألوكة

[2]- المرجع نفسه، ص3.

[3]- دي سوسير ،كتاب "محاضرات في الألسنية العامة"، ص137-139.

إنتاج المعنى ونشره وخلع المشروعية عليه قد فقدت صحتها وصلاحيتها وأصبحت ذاكرة الأمة المفسرة متجاوزة من قبل الاستراتيجيات المعرفية الجديدة"[1]

وعليه فإن الاستراتيجية الجديدة عند أركون لقراءة النص القرآني تقتضي اعتماد لغة دينية حديثة تستقطب اللغة والفكر من منظور تفاعلي "يستمدان ديناميكياتهما الخلاقة من التاريخ الفردي والجماعي"[2]

كما يقول أيضا عن اللغات الدينية من أن : "الديني ينبثق ويتطور وينتقل إلى الناس ويعاد تنشيطه عن طريق الذاكرة الشفهية أو الكتابية أو الاثنين معا، ولذا ينبغي أن نبتدأ باستكشاف التعبيرات أو (التجليات) اللغوية والسيميائية –الدلالية والإشارية- الحركية لهذه الذاكرة لكي نتوصل إلى السلالات المؤمنة التي تشكل التراثات الحية"[3]

كما استصحب هذا المنهج تعريفا وتطبيقا، تعريفا باستعماله المعجميات والاصطلاحات الألسنية عند تعريفه للقرآن الكريم عند قوله: "هو عبارة عن مدونة منتهية ومفتوحة من العبارات أو المنطوقات المكتوبة باللغة العربية وهو مدونة لا يمكن أن نصل إليها إلا عن طريق النص الذي ثبت حرفيا أو كتابيا بعد القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، إن كلية النص المثبت على هذا النحو كانت قد عوملت بصفتها كتابا واحدا أو عملا متكاملا"[4]

وعن تحليل هذا التعريف وارتباطه بالمنهج البنوي الألسني يقول الدكتور كيحل مصطفى : "وأهم المفاهيم الألسنية الواردة في هذه الفقرة نجد مفهوم مدونة متجانسة، وما يقصده أركون هو أن النص القرآني كما سبق أن أوضحناه في القراءة السيميائية خاضع لشبكة أو بنية واحدة من العلاقات بين الضمائر التوصيلية وهي الذات الفاعل (الأنا) والذات الناقل (محمد) والمرسل إليه الثاني (البشر) أي (أنا، نحن، أنت، هم)، وذلك بالرغم من الاختلاف في مواضع القرآن، وأساليب التبليغ وتعدد أنماط

[1]- محمد أركون، كتاب "الفكر الأصولي واستحالة التأصيل"، ص284

[2]-كيحل مصطفى، كتاب " الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون"، ص314

[3]- محمد أركون، كتاب "الفكر الأصولي واستحالة التأصيل"، ص283

[4]- محمد أركون، كتاب "القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني"، ص114

الخطاب، أي أن (تجانسية المدونة النصية القرآنية ترتكز على شبكة معجمية أو لغوية واسعة، وعلى نموذج قصصي أو تمثيلي واحد لا يتغير)"[1]

أما تطبيقا فبالالتزام المنهجي بقواعد المنهج البنيوي عند القراءة الألسنية للقرآن إذ يقول أركون : "تجبرنا على أن نظل محصورين داخل الحدود الصارمة للإمكانيات التعبيرية للغة واستبعاد كل المفترضات الضمنية والصريحة التي تضفيها كل قراءة على النص"[2]

مما سبق نستنتج مدى تأثير المنهج البنيوي على التفكير الأركوني في قراءته للقرآن وأن دعوى الموضوعية التي التزم بها مفكرنا ما هي إلا وثوقية غير صحية استصحب فيها أركون التفكير الوضعي وبأدوات لغوية مطعمة بالمنهج الأنسني والألسني الرامية إلى إنكار كل متعال على السبب المادي ومهما يكن هذا المنهج فإنه لا يسلم من العيوب، فالمقاربة البنيوية الألسنية ليست دقيقة، الأمر الذي يتطلب التفكير في منهج آخر تستصحب فيه الأدوات اللغوية مع النص القرآني وفق توازنات علمية مناسبة والخطاب الإلهي لاكتشاف مدى الارتباط الصحي والإيجابي الكامن في المنظومة اللغوية القرآنية وأنها إحدى الإعجازات الإلهية المقصودة في الوضع الإلهي الذي جاء به النص القرآني.

[1] - كيحل مصطفى، كتاب "الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون"، ص316

[2] - محمد أركون، كتاب "القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني"، ص112

المطلب الثاني: المنهج التفكيكي في الفكر الأركوني

إذا كان المنهج البنيوي يهتم بدراسة الظواهر المختلفة بوصفها نظاما تاما ومترابطا وبما أن النظام اللغوي في المفهوم البنيوي هو المسيطر على عناصره حتى أضحى المنهج الألسني من أهم الإجراءات الحفرية على النصوص في ذاتها ودون الالتفات لمؤلف النص ولا لمقاصده ولا إلى الظروف التي أنتجت ذلك النص، فإن المنهج التفكيكي الذي يعد أحد الاتجاهات الفكرية لما بعد البنيوية يهدف إلى دراسة النصوص التي تتميز بالإطلاقية والمثالية فمن خلال إعادة قراءة الأسس المعرفية لتلك النصوص يستخدم التفكيك لهدم الأساسيات المعرفية حيث يعول فيه التفكيك على القارئ وحده لا على النص ولا على المؤلف ولا على مصادره أو ظروفه المحتفة به.[1]

ويرجع تأسيس هذا المنهج النقدي إلى الفيلسوف الفرنسي جاك ديريدا (1930-2004) حيث يعد أول من طرح مصطلح التفكيك عام 1966 ضمن ندوة نظمتها الجامعة الأمريكية (هوبكنز) قدم فيها ورقة بعنوان (إنقاذ اللغات واللسانيات) أسس فيها المرتكزات النقدية للمنهج التفكيكي بوصفه حقبة فكرية لما بعد البنيوية.[2]

يقول الدكتور فهد بن محمد القرشي: " ظهرت التفكيكية كمشروع لقراءة النص الأدبي ثم توسعت حتى شملت النصوص التي غلب عليها صفة القداسة، ونقض الأسس التي ارتكز عليها النص في بنيته وزعزعتها، وإعادة بنائها للكشف عن وجوه للدلالة لم تكن في حسبان كاتب النص، وذلك باستحضار الدلالة الغائبة للدوال اللغوية وقلب مركزية النص دون أن تحسم دلالته النهائية في بعد واحد"[3]

مما سبق يتضح أن المنهج التفكيكي هو منهج نقدي يرمي إلى تأسيس رؤية وتصور عن الوجود والتاريخ والإنسان تعود فيها تلك الرؤية بالاعتبار للقارئ دون المقروء الذي هو محور التأويل عن طريق خلخلة النص والحفر في طبقاته، وهنا تكمن الخطورة في المعالجة النقدية التي يمارسها التفكيك ليس فقط

[1]- يرجع إلى وليد القصاب، مقال "التفكيك منهج خطير في التفسير"، مجلة الألوكة.

[2]- يرجع إلى كتاب "مداخل إلى التفكيك"، تحرير وترجمة د. حسام نايل، ص 231.

[3]- فهد بن محمد القرشي، مقال "التفكيكية مفهومها، أصولها، تطورها، نقدها"، ، مجلة أبحاث، ص237، كلية التربية، جامعة الحديدة

على النصوص البشرية بغض النظر عن مرتكزاتها، بل يهدف هذا المنهج إلى نقض النصوص الإلهية وهدمها والتشكيك في ثوابتها ويقينياتها بإيجاد الأشكلة والخلخلة والزحزحة وهي إجراءات وظفت على صعيد واسع في المناهج الفكرية والفلسفية ليس أدل على ما اقتبسه محمد أركون من المنهج التفكيكي واصطلاحاته خاصة في فكرة اللا مفكر فيه وتشكيله للعقل والفكر الاسلامي كذا إعادته لقراءة النص القرآني وفق ذلك المنهج وتلك الاجراءات، يقول الدكتور عز الدين معميش : "ولبطء عملية الترجمة في العالم العربي والاسلامي لم يدخل التفكيك البلاد الاسلامية (عربية وغيرها) إلا في نهاية السبعينات بعد أن تبناه بعض أبناءه القاطنين في أوروبا كأركون وسيار الجميل وغيرهما.

وهكذا يمكن اعتبار أطروحة (محمد أركون) للدكتوراه سنة 1968 بعنوان (نزعة الأنسنة في الفكر الإسلامي) إرهاصا لظهور مبادئ التفكيك ومعالمه العامة في العالم الإسلامي، خاصة مع تولي بعض أخلص تلاميذه (هاشم صالح) ترجمة أعماله من كتب ومقالات إلى العربية، وتزامنت أطروحة أركون مع الذروة التي بلغها التفكيك في مقابل السقوط الحر للبنيوية وتحول الكثير من أعلامها إلى التفكيك"[1]

كما يقول الدكتور خزعل الماجدي عند ترجمته لمحمد أركون : "سعى إلى تأسيس ما يعرف بـ: (الإسلاميات التطبيقية) وكان منهجه هو التفكيك متأثرا بجاك دريدا وغيره من رواد التفكيكية، واعتمد على الأنثروبولوجيا واللسانيات، وعلم اجتماع المعرفة وعلم النفس الاجتماعي وأركيولوجيا المعرفة، والتفكيكية اللغوية، والسيميائيات، والهرمينوطيقا ويسمى منهجه عموما، المنهج التفكيكي الحفري (الأركيولوجي)"[2].

وعليه فقبل بيان أثر المنهج التفكيكي على الفكر الأركوني يجدر بنا تعريف التفكيك لغة واصطلاحا.

الفرع الأول: تعريف التفكيكية لغة واصطلاحا:

أ. **لغة:** جاء في لسان العرب لابن منظور قوله: "فَكَكْتُ الشيء فانفك بمنزلة الكتاب المختوم تَفَكَ خاتمه كما تفك الحنكين تفصل بينهما

[1]- عز الدين معميش، كتاب "الحداثة والنص الديني (التفكيكية نموذجا)" ، ص101.

[2]- خزعل الماجدي، كتاب "علم الأديان"، ص323-324

وفَكَكْتُ الشيء خَلَصتُه، وكل مُشْتبكيْنِ فَصَلْتُهُمَا فقد فككتهما وكذلك التفكِيكُ"[1]

وعليه يكون معنى التفكيك من الناحية اللغوية هو الفصل بين الأشياء

ب. **اصطلاحا:** عُرِّفت التفكيكية بعدة تعاريف وهذا راجع إلى صعوبة تعريفها وتحديدها لكن يمكننا انتخاب تعريفين لاشتراكهما في تأسيس مفهوم النقض الذي هو محور هدف المنهج التفكيكي.

عرف في (دليل الناقد العربي) بأنه : "قراءة مزدوجة تسعى إلى دراسة النص (مهما كان) دراسة تقليدية أولا لإثبات معانيه الصريحة ثم تسعى إلى تقويض ما تصل إليه من نتائج في قراءة معاكسة تعتمد على ما ينطوي عليه النص من معان تتناقض مع ما يصرح به، تهدف القراءة التقويضية من هذه القراءة إلى إيجاد شرخ بين ما يصرح به النص وما يخفيه"[2]

كما عرف في (المصطلحات الأدبية الحديثة) بأنه : "فك الارتباط أو حتى تفكيك الارتباطات المفترضة بين اللغة وكل ما يقع خارجها، أي إنكار قدرة اللغة على أن تحيلنا إلى أي شيء أو إلى أي ظاهرة إحالة موثوقا بها"[3]

وعليه فمن خلال ما سبق يتضح لنا أن التفكيكية نظرية نقدية تستهدف كل ثنائية دينية أو ميتافيزيقية كالإيمان والكفر والدين والدنيا والمقدس والمدنس ... الخ "وخلخلة كل المفاهيم في المنظومات القديمة وإعادة تجديدها في أطر جديدة لصالح إنسان مبدع متسامح".[4]

ولتحرير العقل الإسلامي المنغلق على ذاته والمشبع بمفاهيم لاهوتية وتصورات أسطورية "يدعو إلى سبر أغوار التراث الإسلامي واستنطاق البنى المضمرة أو اللا مفكر فيها وعن طريق اختراق الطبقات السطحية الأولى والوسطى ولا بد من قراءة تفكيكية للطبقات العميقة المؤسسة"[5]

وهنا نقف على تأثيرات المنهج التفكيكي في المشروع الأركوني والكامن فيما يلي:

[1]- ابن منظور، "لسان العرب" ، ج 10، ص 475

[2]- ميجان الرويلي وسعد البازعي، كتاب "دليل الناقد الأدبي"، ص108.

[3]- "المصطلحات الأدبية الحديثة" / دراسة ومعجم انجليزي- عربي، ص131

[4]- خزعل الماجدي، كتاب "علم الأديان" ، ترجمة دريدا وفلسفته التفكيكية، ص313.

[5]- المرجع نفسه، ص 324.

الفرع الثاني: تأثير المنهج التفكيكي في الفكر الأركوني:

ذكرنا في التوطئة أن ما قدمه المفكر محمد أركون عن مفهوم الأنسنة والذي هو مشروع أطروحته للدكتوراه والموسومة ب"نزعة الأنسنة في الفكر الإسلامي"، يعد الأساس المنهجي الذي اعتمده أركون في بلورة التفكيك كإجراء لإعادة قراءة النص القرآني لكشف معانيه الحقيقية وجعله مفهوما بطريقة أفضل، يقول الدكتور خزعل الماجدي "ويرى أركون ضرورة إعادة وضع تاريخ جديد للقرآن وطريقة جمعه، وتدوينه، وتحليل كل الروايات الرسمية وغير الرسمية عن القرآن ونصوصه وهو يرى أن فكرة الوحي جاءت لتثبيت النص القرآني وجعله نصا معياريا إلهيا مغلقا أسطوريا لا يجوز فتحه"[1]

وعن طريق استعمال مصطلح الأشكلة كإجراء قرائي يهدف إلى تفكيك يقينية النصوص والإبقاء على قابلية إنتاجية بحيث تتجدد فيها المعاني وتستمر فيها القراءات ولا يكون ذلك إلا من التقويض المستمر وهو عينه ما يهدف إليه المنهج التفكيكي.

استصحب محمد أركون التشكيك بقصد التفكيك في الكيفية التي تم بها تدوين النص القرآني والظروف التاريخية التي أحاطت به والخلفيات الايديولوجية التي تأسس عليها، حيث يقول: "نحن نجد أن جيل الصحابة هو وحده الذي رأى وسمع وشهد الظروف الأولى والكلمات الأولى التي نقلت فيما بعد على هيئة القرآن والحديث والسيرة، إنه لمن الصعب تاريخيا إن لم يكن من المستحيل التأكيد على القول بأن كل ناقل قد سمع بالفعل ورأى الشيء الذي نقله على الرغم من هذه الحقيقة فالنظرة الثيولوجية (العقيدة الدينية) المزعومة قد فرضت بالقوة فكرة أن كل الصحابة معصومون في شهاداتهم ورواياتهم"[2]

فتفكيك (الظروف الأولى) و(الكلمات الأولى) والتي شكلت فيما بعد (هيئة القرآن والحديث والسيرة) من شأنها أن تؤسس لأشكلة التدوين التي احتف بها النص القرآني وأن انتقال القرآن من المرحلة الشفوية إلى المرحلة الكتابية يؤسس للخلفية الايديولوجية التي انتابت النص القرآني، وفي هذا يقول أيضا أركون : "إن الأمر يتعلق بعملية جماعية ضخمة كانت قد جيشت العلماء: من فقهاء ومحدثين وثيولوجيين ومفسرين وكتبة تاريخ وفقهاء لغة وبلاغيين في الفترة اللاحقة لزمن الصحابة والتابعين،

[1]- نفس المرجع السابق، ص324.

[2]- محمد أركون، كتاب "الفكر الاسلامي قراءة علمية"، ص65-66.

وجيشت الدولة الخليفية والخيال الاجتماعي المستوعب والمولد في آن معا للأساطير والشعائر والصور الحماسية والانتظار والرفض الذي تتغذى منه حتى الآن الحساسية الدينية التقليدية"[1]

ليصل من هذا التقويض والتفكيك إلى أن يقول: "المصحف الذي نملكه اليوم ليس هو القرآن كما نزل بل تعرض إلى التعديل في ضوء ما يقتضيه نظام الكتابة الأرثوذكسي ولا يمكن للعقل أن يتحرر ما لم ينظر برؤية تاريخية إلى هذا التحول"[2]

من هذه المقولات يمكننا أن نستنتج مدى تأثر المشروع الأركوني بالمنهج التفكيكي الذي وضعه دريدا وأن أنسنة النص القرآني يعد في المفهوم الأركوني من الركائز الأساسية في نقد العقل الإسلامي الذي كونته المنظومة الأسطورية والايديولوجية.

وحيث أن فكرة التفكيك التي إلتزم بها أركون حول النصوص القطعية التي احتفت دلائل اليقين النقلي والعقلي ومن مجموع الأمة التي تظافرت على حقيقة واحدة عن تدوين النص القرآني وأن ذلك من المعلومات القطعية التي لا يتطرق إليها الريب أو الشك وأن التزام الشك بحد ذاته هو منهج مقوض من ذاته لعدم ارتكازه على اليقين لا في بدايته ولا في نتائجه.

وعليه فالمنهج التفكيكي الذي استند عليه أركون في مشروعه ما هو إلا التزام شكي يقتضي الشك في نتائجه خاصة وأنه عملية استمرارية وهو مسلك يعمل على قلب الحقائق اليقينية ظنونا والظنون يقينا وهو خلاف ما يتطلبه العلم والفكر الإنساني في استقراءاته وتأملاته الوجودية وأنها كلها مطابقة والمنهج القرآني الذي هو التزام علمي وإجراء قرائي رباني يهدف إلى عون الإنسان على الاستقراء السليم لإدراك علم اليقين الهادي به إلى عين اليقين.

[1] – نفس المرجع السابق، ص257.

[2] – محمد أركون، كتاب "قضايا في نقد العقل الديني"، ص189

المطلب الثالث: المنهج الأريكولوجي في الفكر الأركوني:

يعد المنهج الأريكولوجي الذي يهتم بالنظر في الأسس التي تبنى عليها المعرفة وعن طريق الصبر والكشف العميق للحقيقة التاريخية أو للواقع التاريخي، لهذا فإن المسار المنهجي بينه وبين كل من المنهج التفكيكي يجلي مدى الارتباط الاجرائي في قراءة النصوص وتحليلها.

فإذا كان التفكيك كما أشرنا فيما سبق نظرة نقدية تستهدف فك الارتباطات الفكرية والمعرفية الكامنة والمكونة للنصوص فإن المنهج الأريكولوجي يستخدم ويوظف آليات التفكيك لإزاحة الركام وكشف الطبقات لتعرية الجذور الفكرية التي ولدتها النظريات والتشكلات الإيديولوجية والأنظمة الدينية، لهذا يقول الدكتور هيثم الحلي الحسيني عن هذا المنهج بأنه : "ينصرف المنهج الأريكولوجي الحفري المعرفي إلى ما وراء الظاهر من النص في قراءة ما يخفيه أو يسكت عنه، فهو يولد بذلك نصا ثانيا يمكن اعتباره بمثابة الصنو الآخر للنص الأول، ويخلق بذلك قراءة ثانية تخترق النص الأول وتكشف عن بعض إمكاناته التي لا تقولها الكلمات المعجمية وإنما ينطق بها المعنى الإيجابي الدلالي في النص" إلى أن يقول أيضا : "إن الأريكولوجيا بصفتها منهجا للحفر والتنقيب والتعرية في فعاليات الحياة ونصوص الوثائق والخطابات المحفوظة، تسعى من أجل كشف النظم المعرفية التي تحكمها وتنظمها في سياق واحد، فالمنهج الأريكولوجي في هذا المضمار هو (دراسة البنية الضمنية للمعرفة)"[1]

ويرجع المنهج الأريكولوجي إلى الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي ميشال فوكو (1926-1984) الذي ابتكر هذا المنهج (مستعيرا إياه من حقل الجيولوجيا ومحولا إياه من الحقيقة إلى المجاز)[2]، نشر بخصوص ذلك دراسات وأبحاث من أشهرها كتابه (أريكولوجيا المعرفة)، حيث استعار فيه المفهوم المجازي للحفر من الأريكولوجيا التي هي علم الآثار والتنقيب ليعمل على نقل الحفر والتنقيب على الأفكار والمعارف كشفا على الأفكار والمعارف كشفا وتحليلا لهذا وظف "ميشيل فوكو" هذا المنهج التنقيبي لكشف خبايا البنية المعرفية التاريخية والاجتماعية للمجتمع الغربي ولتعرية تراثها وفلسفتها المثالية والميتافيزيقية، يقول الأستاذ حاجي رشيد: "تتجلى محاولة فوكو في هدم البنية الميتافيزيقية وتجاوزها وذلك عن طريق الهامشي،

---

[1]- هيثم الحلي الحسيني، مقال بعنوان "منهج البحث الأريكولوجي الحفري والدراسات المعمقة في التراث العلمي"، موقع الإمام الشيرازي

[2]- امبارك حامدي، كتاب "التراث وإشكالية القطيعة في الفكر الحداثي المغاربي" ، ص13

فالمبدأ الحفري يقول كل منظومة معرفية تقول كل ما إمكانها قوله، وترى كل ما بإمكانها رؤيته، نظام الكلمات والأشياء تخترقه جملة من الاهتزازات والتصدعات لينهار كل ما على سطح معرفي وتقوم على أنقاضها منظومة معرفية أخرى تعيد تنظيم وترتيب موضوعاتها وآلياتها المنهجية والتمحيصية بنمط آخر.

فالتجربة الفوكوية ترفض البساطة وتدعو إلى الممارسة الفكرية الجديدة، والبحث عن منهجيات تناسب الموضوعات المعرفية لهذا استخدم أركون مفاهيم ومصطلحات فوكو وبخاصة مصطلح الابستيمية وبالطبع فإن استخدامه لهذا المصطلح غرضه تحقيب الفكر العربي الإسلامي ابستمولوجيا"[1]، وبالتالي قبل بيان تأثير المنهج الأريكولوجي في الفكر الأركوني يتعين علينا تعريف الأريكولوجيا من الناحية اللغوية والاصطلاحية.

الفرع الأول: تعريف الأركيولوجيا لغة واصطلاحا:

1) **التعريف اللغوي:** جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة عن مادة أركيولوجيا [مفرد]: "علم الآثار والفنون القديمة"[2].

2) **التعريف الاصطلاحي:** عرفها هاشم صالح بأن:" الأركيولوجيا في الفكر من بلورة الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو في الأصل ثم شاع فيما بعد لدى كثير من الباحثين والمؤرخين... والمعنى المجازي للأركيولوجيا غير المعنى الحرفي الذي يعنى علم الآثار أو النبش عن الآثار. أما المعنى المجازي فيدل على البحث العميق الذي ينبش عن جذور العقائد والنصوص والنظريات والأفكار لمعرفة كيفية تشكلها"[3].

كما يقول الاستاذ عبد الحق طالبي في تعريفها أيضا بأنها: "تعني العلم الذي يعنى بدراسة الحضارات التي شيدها الإنسان قديما باستعمال الأدوات والوسائل المختلفة، بهدف الحفر والتنقيب عن الآثار والمعالم التي خلفتها تلك الحضارات، أما بالنسبة ل"فوكو" فإنه يستخدم هذا المفهوم للمنهج الذي وضعه في دراسته وتحليله للبنى المعرفية الغربية، حيث يقر في أركيولوجيا المعرفة، أنه أطلق على منهجه وبكيفية رسمها رسمية اسم الحفريات[4].

[1]- حاجي رشيد، رسالة ماجستير "النص الديني والمناهج الغربية في الفكر العربي المعاصر، محمد أركون أنموذجا"،سنة2012-2013، قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران

[2]- أحمد مختار عمر، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، ج1، ص86، عالم الكتب، ط1، 2008

[3]- هاشم صالح تعليق في كتاب أركون "الاجتهاد إلى نقد العقل الاسلامي"، ص51.

[4]- عبد الحق طالبي، مقال "قراءة في المنهج الأركيولوجي"، جامعة عباس لغرور، خنشلة

الفرع الثاني: تأثير المنهج الأريكولوجي في الفكر الأركوني

يعتبر المفكر محمد أركون من أكثر الحداثيين المسلمين الذين اشتغلوا على مفهوم الوحي الإسلامي إذ قدم قراءة حداثوية بمفهومه من خلال مشروعه النقدي الذي سماه ب(نقد العقل الإسلامي). وحيث اتجه في مشروعه عند نقده للعقل الإسلامي الذي تمثل لديه مفهوم متراكم عن النص القرآني ذو نزعة عقلية منغلقة ومشبعة بمفاهيم لاهوتية وأساطير ثابتة.

لهذا (يدعو إلى سير أغوار التراث الإسلامي واستنطاق البنى المضمرة أو اللامفكر فيها، ويرى أفاق التراث مكونة من طبقات أريكولوجية ولابد من الوصول إلى الطبقات العميقة (القرون التأسيسية الأولى)، عن طريق اختراق الطبقات السطحية الأولى، والوسطى، ولابد من قراءة تفكيكية للطبقات العميقة المؤسسة) [1].

لذلك يكمن تأثر أركون بالمنهج الأريكولوجي واستصحابه للرؤية الفلسفية الفوكية متجاوز به حتى الرؤية الاستشراقية التقليدية ونظرتها الكلاسيكية عن الدراسات الإسلامية وإلى ما يسميه ب(الإسلاميات التطبيقية) وفي هذا الصدد يقول: "لا ينبغي الاكتفاء بما يفعل المستشرقون التقليديون أو الكلاسيكيون وإنما ينبغي تجاوزه إلى منهجية التفكيك والتعرية الأريكولوجية والنقد الجذري لأنظمة الفكر التراثي"[2].

وعن هذا الكلام يقول الدكتور امبارك حامدي: "ويعني هذا أن أركون يعترف كما يقول هاشم صالح بضرورة التبحر الآكاديمي ولكن كمرحلة أولى فقط تعقبها مرحلة النبش الأريكولوجية عن جذور الموضوع المدروس ويكشف التواتر الكثيف لمصطلحات الأركيولوجية، منقولة من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي مثلما هو عند أركون (نبش، زحزحة، حفر، تعرية، مطمور، طبقات، تراكم، تنقيب،...إلخ)[3].

كما يتجلى المنهج الأركيولوجي عند أركون في ضرورة التخلص من النصوص الفرعية والتي هي الشروح والتفسيرات التي تراكمت عبر الزمن مشكلة طبقات سميكة تمنع المؤمن من القراءة الأولى للنص

[1]- فزعل الماجدي،" علم الأديان" ، ص324.

[2]- أركون، "الفكر الاصولي واستحالة التأصيل"، ص119.

[3]- امبارك حامدي، رسالة دكتوراه "التراث واشكالية القطيعة في الفكر الحداثي المغاربي"، ص249.

القرآني ومشكلة أيضا بما يسميه أركون النواة الصلبة للاعتماد الإسلامي، وعليه وجب النفوذ إلى هذه النواة وتعريتها وزحزحتها وهذا المنطلق الأساسي لتأسيس المشروع النقدي للعقل الإسلامي عند محمد أركون الذي يقول: " إن السياج الدوغمائي الذي انغلق داخله الخطاب الإسلامي المشترك منذ القرن الحادي عشر أو الثاني عشر الميلادي تقريبا يمكن النص عليه باختصار كما يلي:

يوجد إله واحد حي، خالق، اتخذ الإنسان كخليفة له على الأرض وقد تكلم إلى البشر عدة مرات أو على مراحل متلاحقة من خلال الأنبياء الذين اختارهم وكانت آخر مرة تكلم فيها إلى البشر من خلال محمد (أو الرسول محمد)، وقد استمع صحابة محمد إلى هذا الكلام الموصل بكل تقي وورع وحفظوه في ذاكرتهم ونقلوه ثم دونوه كتابة في مجموعة نصية دعوها بالمصحف التي تشكل القرآن، والقرآن يعني كلام الله المتلو شعائريا والمقروء والمفسر والمعاش بصفته القانون الإلهي الأبدي الذي لا يتغير ولا يتبدل ولا يمس والصالح لكل زمان ومكان ثم جاءت أحاديث النبي لكي يصبح الأصل الثاني للقانون الإلهي للشريعة.

هذا هو ملخص الاعتقاد الإسلامي كثفناه هنا بشكل حرفي، إنه يمثل النواة الصلبة التي يعود إليها وينطلق منها في آن معا نظام العقائد/ واللا عقائد الخاص بالمسلمين"[1]

ثم قال: " وحده الباحث – المفكر يوضح نقطة انطلاق أبحاثه وتحرياته ، فهو يهتم بدراسة هذه النواة الصلبة للاعتقاد الإسلامي، ثم دراسة مضامينها وتوسعاتها العديدة أو انتشارها، ثم يطبق عليها عمليات الزحزحة والتجاوز، هذه العمليات التي لم يحاولها اطلاقا الفكر الإسلامي نفسه، ولا كذلك مختلف الخبراء الغربيين المختصين بالمجتمعات المجبولة من قبل الظاهرة الإسلامية (أي المجتمعات المتأثرة بالإسلام منذ زمن طويل)"[2].

من هذه الاستدلالات يمكننا أن نستنتج مدى تأثير المنهج الأريكولوجي في المنظور الأركوني للنص القرآني وأن اصطلاحات الزحزحة والحفر والتجاوز ماهي إلا آليات وأدوات للمناهج الغربية والحداثية التي تستصحب المنهج العلمي النقدي لمآلات تستهدف ليس كما اصطلح عليه أركون بالنواة

[1]- محمد أكرون، كتاب "الفكر الاصولي واستحالة التأصيل"، ص330.

[2]- نفس المرجع السابق، 332.

الصلبة والتي يعني بها الشروح والتفسيرات القرآنية، بل ترمي إلى ما هو أخطر من ذلك وهو نزع القداسة عن النص القرآني وأنسنة الوحي حيث من شأن المنهج الأريكولوجي الذي يعمل على التعرية أن يساوي النص الإلهي مع النصوص البشرية من حيث الرتبة والمنظور وأن المنتوجات الثقافية البشرية هي الفاعلة والمشكلة للقرآن عن طريق تاريخية الوحي وارتباطه بظروف الزمان والمكان الذي أنتج فيها، وفي هذا المنظور باستصحاب هذا المنهج ضرر على الأمة وعلى التاريخ وعلى ائتمانها المعرفي اليقيني الذي تستلهم منه وجودها واستمرارها ألا وهو كتاب ربها الوثوقي في مصدره والإلهي في أصله.

المطلب الرابع: المنهج الهيرمنوطوقي في الفكر الأركوني

إذا كان المنهج البنيوي يهتم بدراسة الظواهر المختلفة حيث اللغة هي المهيمنة على النص دون الالتفات إلى المؤلف ولا لمقاصده، كما أن المنهج التفكيكي ينطلق من اعتبار القارئ دون المؤلف ولا للمؤلَف قصد هدم الأساسيات المعرفية التي شكلتها القراءة الإلهية والأسطورية، كذا المنهج الأريكولوجي الذي يعمل على إزاحة الطبقات وتعريتها من خلفياتها الأيدولوجية والدينية للوصول بها إلى وضعيتها وأنسنتها.

فإن المنهج الهرمنوطوقي يعد أخطرها على النصوص القدسية وعلى الثوابت القطعية فهو كما يقول الدكتور محمد عمارة عنه بأنه: " علم فهم النص، الذي أحل (الدلالة) و (المغزى) محل (المعنى)، فأقام القطيعة مع الموروث، والمورث الديني على وجه الخصوص"[1] .

ولأن الدارس للخلفية التي نشأت منها الهرمنوطقيا حتى أضحت منهجا له دلالاته وتأثيره في الفلسفات والمناهج العلمية المعاصرة، وأنها :" انبعاث متطور للتأويل الذي عرفه الفكر الغربي منذ العصر اليوناني "[2]، حيث بلغت من الغلو ما حكمت فيه بما اصطلح عليه بـ(موت الإله) مستعيضة به في تأويل النصوص المقدسة لدى اليهود والنصارى، وبموت الكاتب في النصوص الأدبية وبالقطيعة مع المعاني والمقاصد وإحلال القارئ محلها عن طريق فهمه الدلالي محل مقاصد النصوص والكاتب.

كل ذلك عن طريق منظومة تأويلية تتجاوز ظاهر اللفظ إلى باطنه وتتعدى حقيقته إلى مجازه قصد فك الارتباط من النصوص ذات السلطة الفكرية والاجتماعية.

وعن بداية الاهتمام بالبحث الهيرمنوطوقي يقول الدكتور كيحل مصطفى: "وفي العصر الحديث ارتبط التأويل بإشكالية قراءة الكتابات المقدسة والنصوص الدينية ففي عصر الإصلاح الديني بدأ يتبلور موقف الثورة على سلطة الكنيسة في مسألة مصادرتها لحرية القراءة وبدأت الكنيسة تواجه الكثير من المشكلات الهيرمنوطوقية من مثل (تثبت الإنجيل المنقول شفويا بواسطة الكتابة وتشكل

---

[1]- محمد عمارة، كتاب " قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الاسلامي" ، ص7.

[2]- المرجع نفسه، ص7

مجموعة الشرائع السماوية في آن واحد تعريف العلاقة بين العهد القديم والعهد الجديد وصياغة العقائد الأولى بمساعدة مفاهيم الفلسفة الإغريقية" [1].

هذا المنحى التأويلي الذي كان استجابة لإشكالات فكرية كامنة في الكتب المقدسة (الإنجيل والتوراة) والتي اقتضت صياغات فلسفية كانت العامل الأساسي وراء بروز الهيرمنوطيقة ونشأت التأويل المتعلق بصياغة قراءات وفهوم متعددة عن النص الديني المسيحي " وليحور فهم القارئ له من المقاصد الإلهية ، ويقيم قطيعة المباعدة مع المعاني التي ارادها المبدعون للنصوص بوجه عام، ومن هنا تبلور الطور الهيرمنوطوقي للتأويل"[2]

وعليه فقبل التطرق إلى مؤثرات المنهج الهيرمنوطقي في الفكر الأركوني يستلزم علينا تعريف الهيرمنوطقية لغة واصطلاحا.

الفرع الأول: تعريف الهيرمنوطقية لغة واصطلاحا

1) **التعريف اللغوي**: "إن الأصل الاشتقاقي للهرمنيوطوقيا راجع إلى الكلمة اليونانية (hermeneiu) والتي تحمل بين جوانبها دلالات متقاربة في المعنى هي التفسير والتأويل والقول. كما تعزى في الأصل والمنشأ إلى (هرمس) الذي كان له الفضل في اختراع اللغة والكتابة، وتمكين الإنسان من أداة الفهم والتواصل"[3]

ويقول الدكتور كيحل مصطفى : "ونلاحظ أن كلمة هرمينوطيقا في اشتقاقها اللغوي القديم لا تخرج عن معنى الشرح والتفسير لما هو غامض ومبهم، أي شرح ما يجد العقل الإنساني صعوبة في فهمه سواء في الملاحم اليونانية القديمة، أو إعادة شرح النصوص الدينية مع بداية عصر النهضة والإصلاح الديني في القرن السادس عشر"[4]

---

[1]- كيحل مصطفى، كتاب "الانسنة والتأويل في فكر محمد أركون"، ص88.

[2]- محمد عمارة، كتاب "قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الاسلامي"، ص13

[3]- محمد بن أحمد جهلان، كتاب "فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني"، ص168.

[4]-كيحل مصطفى، كتاب "الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون"، ص87

2) **التعريف الاصطلاحي**: يقول الدكتور محمد عمارة بأنها : "علم فهم النص الذي أحل (الدلالة) و(المغزى) محل (المعنى) فأقام القطيعة مع الموروث، والموروث الديني على وجه الخصوص"[1]

كما يقول الدكتور حسن حنفي : "وفي علم اللاهوت تدل الهيرمنوطيقا على فن تأويل وترجمة الكتاب المقدس فالتأويل هو العلم الديني بالأصالة والذي يُكَوِن لب فلسفة الدين ويقوم عادة بمهمتين متمايزتين تماما :

- البحث عن الصحة التاريخية للنص المقدس عن طريق النقد التاريخي
- وفهم معنى النص عن طريق المبادئ اللغوية"[2]

الفرع الثاني: تأثير المنهج الهيرمنوطوقي في الفكر الأركوني

إذا كان التأويل في القانون الإسلامي قائم على جملة قواعد وضوابط تستدعى فيها قدسية النص ومقاصده فإن التأويلية الهيرمنوطوقية قائمة في منظورها الفلسفي على موت النص والكاتب وإعطاء الفهم الذاتي للقارئ اعتبارا وقيمة محل المعنى الذي قصده المبدع من إبداعه في النص.

وعليه فإن من نتيجة ذلك الحكم على النص بالنسبية والتاريخية وفتح لتعدد الدلالات بتعدد القراء للنص الواحد، هذا الاتجاه هو جوهر المنهج الهيرمنوطوقي الذي أحل القارئ محل المؤلِف والمؤلَف وجعله هو المنتج للنص "وإحلاله للإنسان الطبيعي محل الإنسان الرباني"[3].

هذه التأويلية الحداثية الغربية انتقلت إلى الفكر الحداثي العربي الذي بنى مشروعه في إعادة قراءة التراث "وتقديم نظرية حداثوية تراعي حتميات الموقف الفلسفي للفكر الغربي النهضوي من جهة والواقع الفكري والثقافي لـ (مجتمعات الكتاب المقدس) من جهة أخرى"[4]، حيث كان من الذين اهتموا بالتأويل محمد أركون الذي يقول عنه : "إن علم التأول كفن التساؤل أو طرح الأسئلة والقيمة التثقيفية لصراع التأويلات فيما بينها لم يدخلا بعد إلى الساحة العربية الإسلامية، إنهما لم يدخلا ساحة البحث العلمي

1- محمد عمارة، كتاب "قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الاسلامي" ، ص7

2- حسن حنفي، كتاب "تأويل الضاهريات"، ص384.

3- محمد عمارة، كتاب "قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الاسلامي"، ص16

4- محمد القرني، كتاب "موقف الفكر الحداثي العربي من أصول الاستدلال في الاسلام"، ص213

أو التعليم الجامعي اللهم إلا بعض الاستثناءات القليلة الخاصة ببعض الشخصيات الجريئة ولكن المجبرة على التزام الحيطة والحذر المستمر"[1]

لهذا طبق أركون منظوره عن النص القرآني حيث اعتبره نصا تأويليا بامتياز متأثرا بالمنهج الهيرمنوطوقي حيث يقول عن هذا المنظور القرآني "ولا بد من النظر إلى القرآن ليس على أنه كلام آت من فوق وإنما على أنه حدث واقعي تماما كوقائع الفيزياء والبيولوجيا"[2]

ولتبرير هذا الاتجاه التأويلي الوضعي والخروج به من ما يسميه أركون بـ (النص الرسمي المغلق)، لا بد من قراءة النص القرآني بمقاربة تأويلية انفتاحية بحيث يتسع لأكثر من تفسير ويقرأ قراءات مختلفة و"بكونه ينفتح على كل معنى بحيث يمكن أن تتراءى فيه كل الذوات وأن تقرأ فيه مختلف العقائد والشرائع"[3]، وفي هذا يقول أركون : "نص مفتوح على جميع المعاني و (على كل البشر)، إنه (كون من الآيات والعلامات والرموز)، ومن ثم لا يمكن لتفسير أن يستنفذه بصورة نهائية ولا يمكن لقراءة أن تغلق القول فيه"[4]

كذا مما يدل على تأثير المنهج الهيرمنوطوقي في المشروع الأركوني دعوة أركون إلى تفعيل نظرية موت الإله وموت الكاتب والتي هي من الخصائص الجوهرية للتأويلية الهيرمنوطوقية حيث يقول أركون : "ولن نستطيع تجنب مشاكل التفكير الثيولوجي إذا استمر نظرنا إلى القرآن كنص ديني متعال يحتوي على الحقيقة التي تجعل حضور الله دائما"[5]، إذا لا بد من تأسيس معنى تفسيري مستجد للنص القرآني خارج عن المنظومة الانغلاقية، إلى منظومة انفتاحية يكون فيها الانسان محور القراءة وتأسيس المعنى، لذلك يقول الدكتور كيحل مصطفى عن غرض أركون من استخدام الآليات التأويلية في إعادة قراءة القرآن : "فالمعنى لم يعد يتأسس بعيدا عن الإنسان في صورته المطلقة بل أصبح من إنتاج الإنسان فهو صناعة بشرية فالإنسان هو الذي ينتجه ويثمنه ويعيش عليه أي أنه يتمفصل مع فاعلية الفهم، الفهم الذي

---

[1]- محمد أركون، كتاب "الفكر الأصولي واستحالة التأصيل"، ص261

[2]- محمد أركون، كتاب "تاريخية الفكر العربي الاسلامي" ، ص284

[3]- علي حرب، كتاب "نقد النص" ، ص87

[4]- محمد أركون، كتاب "تاريخية الفكر العربي الاسلامي"، ص145

5- محمد أركون ، مقال "الإسلام و التاريخ و الحداثة"، ترجمة هاشم صالح ، مجلة الوحدة، المجلس القومي للثقافة العربية ، الرباط ، عدد1، سنة 1989، ص25

يشكل جوهر التأويل، وهذا عكس الفكر الديني لأن الفكر الديني يجعل قائل النص أي الله هو محور اهتمامه في حين يجعل الفكر التأويلي الإنسان المتلقي بكل ما يحيط به من واقع اجتماعي وتاريخي هو المحور ونقطة الانطلاق"[1]

ومنه ندرك مدى خطورة وتأثير الهيرمنوطوقيا على الفكر الأركوني وأن النزعة التأويلية ما هي إلا مقاربة فكرية أنسنية في المشروع الأركوني ترمي إلى علموة الخطاب الإسلامي بآليات ومناهج غربية تختلف في آلياتها ومقاصدها عن التأويل الإسلامي الممنهج في إطار النص القرآني والمؤسس على ضوابط اللغة ومقاصد اللسان العربي والهادي إلى استعلاء النص القرآني لا إلى استعدائه بخلاف الهيرمونوطوقية التي تجعل عقول البشر حاكمة عليه وبقراءة لا متناهية مما تفقد معه قدسية النص الإلهي وخصوصيته.

[1]- كيحل مصطفى، كتاب "الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون" ، ص251

المبحث الثالث:

التطبيقات المنهجية للنص القرآني

في المشروع الأركوني

تمهيد:

إن المستقرئ للمشروع الأركوني يجده يتأسس على فكر نقدي ابستميولوجي للتراث العربي الإسلامي والذي يرى أنه ما زال مسيجا ضمن الإسلاميات الكلاسيكية حيث يتم فيه الخلط بين الأسطوري والتاريخي والهيمنة الدوغمائية للفكرة الدينية مع تقديس النص والمفسر له من الفقهاء واعتبار ذلك فوق التاريخ لهذا كان "هدف محمد أركون من وراء قراءته للتراث الإسلامي قراءة ممنهجة خالية من التمجيد لنفسه، أو حتى للسهولة وإنما يريد منهجية نقدية صارمة وذلك باتباع الطرق العلمية والمبادئ الخاصة بها"[1]، وفي هذا الصدد يقول عن هذه المنهجية : " إنني حريص على الالتزام بمبادئ المعرفة العلمية مهما كان الثمن الذي تفرضه علي من الناحية السيكولوجية أو الاجتماعية أو الايديولوجية، باهضا "[2].

من هذا الكلام نفهم مدى حرص محمد أركون على مشروعه النقدي وضرورة إعادة تحليل النص القرآني وفق تطبيقات منهجية بكونها آليات إجرائية تمكن القارئ من فهم القرآن وفقهه بطريقة أوضح وصورة أفضل.

وعن طريق هذه التطبيقات المنهجية يتمكن العقل الإسلامي من زحزحة القناعات الإسلامية فهو كما يقول الدكتور علي حرب عنه : "يقوم في كل فقرة من فقرات مباحثه بتلخيص القواعد المنهجية التي يستخدمها " [3]

فكانت الإسلاميات التطبيقية هي مركز مشروعه ، كما أخضع النص القرآني إلى جملة أدوات إجرائية كالألسنيات والسيميائيات كذا الأنثروبولوجيا التاريخية، وعن هذا الالتزام التطبيقي للآليات المنهجية المتعددة يقول الدكتور عبد المجيد خليقي: " ويبدو أن القصد من هذا التعدد المنهجي عند أركون هو التقليل من هامش الخطأ والعمل على تجاوز الاستخدام الايديولوجي للتراث ماضيا وحاضرا"، إلى أن يقول كذلك : "لأنها تفتقر إلى المنظور الأنثروبولوجي وتتجاهل السياق الثقافي للنص التأسيسي كما تلغي البعد التاريخي في فهم النص الديني معتقدة أن المعنى ثابت ونهائي يتعين التوصل إليه فقط

[1]- حاجي رشيد، كتاب "النص الديني والمناهج الغربية" ، ص83

[2]- أركون ، كتاب "تاريخية الفكر العربي الاسلامي"، ص12

[3]- علي حرب، كتاب "نقد النص" ، ص71

وبذلك فهي تدخل في وفاق مع أفق انتظار المتلقي من دون أن تتمكن من إشراكه في عملية بناء المعنى عبر استشكال ظاهرة الوحي" [1]

وللتعرف على هذه التطبيقات المنهجية التي كانت محور الارتكاز النقدي والتأسيسي في المشروع الأركوني يجدر بنا الوقوف على حقيقتها وخلفياتها الفكرية والفلسفية لنقف على مدى الحقل المعرفي والمقاربة الحداثية التي استدعاها المفكر محمد أركون في تحليله وتفكيكه للنصوص الدينية خاصة النص القرآني منه، ونبدأ بالإسلاميات التطبيقية التي هي محور مشروعه الفكري وعلى ضوئها انبثقت التطبيقات المنهجية الأخرى.

[1]– عبد المجيد خليقي، مقال "نقد العقل الاسلامي / مدخل إلى دراسة المشروع الفكري عند محمد أركون"، ص607، ملتقى دولي بعنوان الثقافة العربية في القرن العشرين عن مركز دراسات الوحدة العربية.

المطلب الأول: الإسلاميات التطبيقية:

انطلاقا من الأسس والأبعاد الفكرية لمشروع الإسلاميات التطبيقية الذي يرى فيه محمد أركون البديل لتجاوز كل من الفكر العربي الإسلامي وكذا الاستشراقي الذي يصطلح عليه باسم الإسلاميات التقليدية حيث يعرفها بأنها : "خطاب غربي حول الإسلام أو بالأحرى هي خطاب من وضع غربي يهدف إلى تطبيق العقلانية على الإسلام"[1]

كما يرى أركون أن العقل العربي الإسلامي ما زال سجين الخطاب العلمي العربي القاصر عن التجديد المنهجي، بعيدا عن البحث في أسباب التجديد ليس أدل على وصفه للوحي كما هو عند المسلمين بقوله : "إن التعريف البسيط للوحي في السياقات الإسلامية يقدم من خلال عبارتين شعائريتين مستخدمتين على نحو عام أو شائع من قبل أي مسلم عندما يستشهد بأي مقطع من القرآن، فهو يبتدئ كلامه قائلا (قال الله تعالى) وينتهي قائلا (صدق الله العظيم)"[2]

وعليه فإن الإسلاميات التطبيقية هي البديل الفكري كما يراه أركون وفي إطار نقدي لكل من العقل الإسلامي والعقل اللاهوتي العربي حيث يقول عن هذا المشروع : "إن مشروعي الفكري في نقد العقل الإسلامي يمثل جزءا لا يتجزأ من هذا البرنامج الطموح والجديد حقا والذي يهدف إلى تفكيك مناخين من الفكر وليس مناخا واحدا فقط، فليس المناخ الفكري العربي الإسلامي هو وحده المستهدف بالنقد أو التفكيك وإنما المناخ الفكري الغربي أيضا، إني أهدف إلى تجاوز المنهجية الوصفية أو السردية هذا إن لم تكن التبجيلية أو النضالية السياسية والمتبعة من قبل كتابة التاريخ في كلتا الجهتين، إني أسلط أضواء المنهجية النقدية التفكيكية على الممارسة التاريخية التي حصلت في الجهة العربية الإسلامية كما في الجهة الأوربية المسيحية أولا ثم العلمانية ثانيا، فالنقد يشمل كل المسار التاريخي وليس جزءا منه فقط"[3]

من هذه الخلفية والدافع الفكري انبثقت فكرة إسلاميات جديدة في وعي محمد أركون كمشروع طموح لتجاوز الانسداد في مجال الإسلاميات الكلاسيكية، يقول الدكتور عبد الإله بلقزيز : "في هذه البيئة العلمية المختنقة السائدة في مجال الإسلاميات في الغرب، وفي مواجهتها ونقدها تبلورت فكرة

[1]- محمد أركون، كتاب "قضايا في نقد العقل الديني"، ص43

[2]- محمد أركون ، كتاب "القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني"، ص17

[3]- محمد أركون، كتاب "نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية"، ص23

الإسلاميات المطبقة (أو التطبيقية) (Islamologie Appliquée) عند محمد أركون كعلم أو كمجال دراسي بديل، يغطي المهمل والمنسي، واللامفكر فيه في تراث الإسلام، وبعدة منهجية جديدة"[1]

ويمكن رصد السمات المنهجية والأهداف التجديدية التي تتميز بها الإسلاميات التطبيقية عن الإسلاميات الكلاسيكية في محددات خمس هي كالآتي:[2]

1. ضرورة دراسة الإسلام بكونه عاملا رئيسيا في التأسيس للإيديولوجيات الرسمية في إطار علمي أفضل لمحتوى الرسالة القرآنية وللفكر الإسلامي الكلاسيكي، وكفعالية علمية داخلية للفكر الإسلامي ومتضامنة مع الفكر المعاصر كله.
2. ضرورة الانتقال بالإسلاميات التطبيقية من المسلمات التقليدية إلى المسلمات الحديثة عن طريق إيجاد الظروف الملائمة لممارسة فكر إسلامي محرر من المحرمات العتيقة ومن الإيديولوجيات الحديثة.
3. ضرورة إخضاع النموذج الإسلامي لتمحيص علمي يساهم في تأسيس أنثروبولوجيا دينية، وبإعادة قراءة القرآن في ضوء منهجي ومعرفي جديد.
4. التأسيس إلى نقد العقل الإسلامي ضمن نطاق نقد العقل الديني عموما مع مراعاة العوامل التاريخية والاجتماعية والسيكولوجية ومن منظور إسلاميات متعددة الاختصاصات.
5. ضرورة الانصراف إلى دراسة اللامفكر فيه في الفكر الإسلامي.

ورغم ما يلمسه الباحث في بادئ النظر من تجديد وجدية في هذه الميزات والأهداف التي توخاها المشروع الأركوني من الإسلاميات التطبيقية، إلا أن طبيعة المنهج التأويلي الذي ترومه هذه الإسلاميات في دراسة النص القرآني هي نفسها (على غرار الأنثروبولوجيا التطبيقية لروجيه باستيد)[3]، والمؤسسة على المنهج الحفري الأركيولوجي الذي طبق على النصوص المسيحية النقد التاريخي والتحليل الألسني والمنهج التفكيكي والرامية في مصباتها إلى إنتاج قراءات ومعاني هادمة لمقاصد النص القرآني وبالانعتاق من

[1]- عبد الإله بلقزيز، كتاب "نقد التراث"، ص372

[2]- اقتبسنا هذه السمات والأهداف عن كل من عبد الإله بلقزيز و الحاج دواق، الأول من كتاب "نقد الذات" والثاني من مقال "العقل الاستطلاعي عند محمد أركون وتطبيقاته في نقد الاستشراق الكلاسيكي"، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 22 جوان 2016، جامعة باتنة

[3]- قطب الريسوني، كتاب "النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر"، ص244

ضوابطه وقواعده، كل ذلك من نتاج هذه الإسلاميات التطبيقية والتي هي استدعاء فكري خارج عن الحقول المعرفية التي جاءت بها المنظومة الفكرية الإسلامية من مناهج وتطبيقات تختلف بالكلية عن المنظور الوضعي الذي جاءت به الفلسفات الغربية، وفي هذا الصدد يقول الدكتور الحاج دواق عن خلفية الإسلاميات التطبيقية التي ارتكز عليها أركون في نقده للعقل الإسلامي : "مع الأهمية التأسيسية لهذا المشروع إلا أننا لا ينبغي أن نغفل عن حقيقة ماثلة وهي أنه استعان بمنظومات معرفية غربية، بعضها ينتمي للاستشراق الحديث وأخرى تنتمي لأدوات ما بعد الحداثة، ما يجعل منطلقاته المنهجية مدينة بعمق للأساس الفلسفي للثقافة الغربية، التي لا يمكن أن تقر للإسلام بمكان"[1]

كما يقول أيضا الدكتور قطب الريسوني: "إن القراءة الأركونية تتبنى قطيعة كبرى مع الأصول الإسلامية وقواعد التأويل التراثي، مستغنية بالمناهج الغربية الآتية : (المنهج التاريخي الأنثروبولوجي والمنهج الألسني السيميائي النقدي والموقف الثيولوجي)"[2]

ويمكننا معرفة المزيد عن الانعكاسات السلبية لهذه الإسلاميات التطبيقية ومن جرها للمنهجية الغربية إلى ساحة التأويل القرآني في كل من القراءات الألسنية والسيميائية وكذا التطبيقات التاريخية والأنثروبولوجية لنقف على مدى ما أسهمت فيه هذه التطبيقات من زحزحة لمسلمات الإيمان الذي جاء به القرآن الكريم.

[1]- الحاج دواق، مقال "العقل الاستطلاعي عند محمد أركون وتطبيقاته في نقد الاستشراق الكلاسيكي"، ص162، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 22 جوان 2016، جامعة باتنة

[2]- قطب الريسوني، كتاب "النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر" ، ص245

المطلب الثاني: القراءة الألسنية والسيميائية

إنه في إطار التجديد الفكري للعقل العربي الإسلامي ومن خلال رؤية نقدية له تهدف إلى زحزحة البنى الدلالية والعلامات المستعملة في النص القرآني والتي تشكل عائقا دغمائيا وتسلطا لاهوتيا عن كشف الانفتاحات المعرفية والقراءات المختلفة والمتعددة للنص الديني والمؤسسة على المفاهيم الألسنية السيميائية والمثيرة للجدليات الألسنية كجدلية النص والواقع، اللغة والفكر، وكلها قضايا من صلب المنهج اللساني (لذلك كان أركون من أبرز الذين وظفوا هذه المناهج اللسانية في قراءة النص الديني الإسلامي)[1].

ولأن موضوع اللسانيات يتم فيها التركيز على إعطاء الأولوية للقارئ في فهمه للنص بكونه هو المحدد للمعاني وليست الدلالات النصية لهذا بين أركون أهمية استدعاء القراءة الألسنية والسيميائية وتطبيقها على النص الديني، حيث يقول : "إني أحاول أن أرى كيف يشتغل النص القرآني وكيف يمارس آلياته وكيف يولد آثارا للمعنى وكيف يولد تشكيلا معينا للوعي ولا أستطيع أن أفصل النص الذي صنع وسمع لكي يقرأ عن القارئ الذي يقرؤه وفي الواقع أنه فيما يخص القرآن ينبغي أن ندرس الكلام أولا وليس اللغة، فتوجد هنا علاقة بين القارئ والنص لا أستطيع كسرها أو تهميشها، لا أستطيع أن أعتبر النص كمجرد جوهر صوتي فونولوجي وسيماناتي معنوي ثم أبدأ بتفكيكه وكأنه آلة ميكانيكية جامعة، إن نصا ما وخصوصا إذا كان نصا دينيا قد صنع لكي يقرأ ويعاش، وهنا نلتقي من جديد بمفهوم اللغة الدينية"[2]

يهدف هذا الكلام إلى تأسيس نظام جديد يعمل على البحث بين اللغة والفكر حيث يركز أركون على القراءة الألسنية اللغوية بكونها شرطا للولوج إلى الأنظمة السيميائية التي تعنى بالفضاءات الرمزية الموجودة في الحياة الاجتماعية. وعن مقاصد الأنظمة السيميائية في المشروع الأركوني يقول الدكتور قطب الريسوني : "إن التحليل السيميائي عند أركون رياضة عقلية ومران منهجي يحمل صاحبه على التحلي بالنزاهة والموضوعية والانسلاخ عن رواسب الذات حتى تكون المسافة بين المؤول والنص على مستوى من البعد والتنائي لا يسمح بإسقاط الأحكام الثيولوجية، يقول أركون (إنه يمثل فضيلة ثمينة جدا

[1]- مرزوق العمري، كتاب "إشكالية تاريخية النص الديني"، ص247

[2]- محمد أركون، كتاب "الفكر الاسلامي قراءة علمية"، ص231

وخصوصا أن الأمر يتعلق هنا بقراءة نصوص محددة كانت قد ولدت وشكلت طيلة أجيال عديدة الحساسية والمخيال الجماعي والفردي وعندئذ نتعلم كيف نقيم مسافة منهجية اتجاه النصوص أو بيننا وبين النصوص المقدسة دون إطلاق أي حكم من الأحكام الثيولوجية أو التاريخية التي تغلق باب التواصل مع المؤمنين فورا)"[1]

كما أن طبيعة الخطاب القرآني في بلاغته ومضامينه هي التي كانت المنطلق في استصحاب المناهج الغربية في قراءة النص القرآني التي يقول محمد أركون عنها بأنها : "تجبرنا على استخدام المنهجيات والتحليلات الألسنية والسيميائية والتاريخية والاجتماعية والأنثروبولوجية والفلسفية في آن معا وبشكل متضافر"[2]

إلا أن هذا الالتزام المنهجي في تطبيق كل من القراءة الألسنية والسيميائية من شأنها جعل النص القرآني كنص أدبي تنزع القداسة منه من إعمال التسوية بينه وبين أي نص بشري إذ يمكن أن يفسر النص بالشيء ونقيضه باعتبار أن عملية التأويل عملية بشرية يقوم بها القارئ للنص وفق خلفياته الفكرية وآلياته الوضعية، يقول الدكتور قطب الريسوني : "أن السيميائيات تجعل النص القرآني وعاءا لقراءات متعددة، وتأويلات غير متناهية، فلكل قارئ أو مؤول أن يقول ما شاء متى شاء"[3]

وعليه فإن استدعاء كل من التطبيقات الألسنية والسيميائية لتفكيك النصوص واستقصائها وتحليلها دون مراعاة الفرق بين النص البشري والنص الإلهي من شأنه إحداث الخلط المنهجي وتبديد الوصف العلمي من لازم التسوية بين النصين وإذا ساغ تنزيل هذه التطبيقات على النص البشري فإن ذلك متعذر في مجال النص القرآني الذي يحمل كينونة وخصوصية.

---

[1]- قطب الريسوني، كتاب "النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر"، ص248.

[2]- محمد أركون ، كتاب "الفكر الاسلامي قراءة علمية"، ص100.

[3]- قطب الريسوني، كتاب "النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر"، ص249

المطلب الثالث: القراءة التاريخية والانثروبولوجية

يعد محمد أركون من الحداثيين العرب الذي تكلموا عن تاريخية القرآن الكريم بشكل واضح وصريح حيث يقول : " أريد لقراءتي هذه أن تطرح مشكلة لم تطرح عمليا قط بهذا الشكل من قبل الفكر الإسلامي ألا وهي تاريخية القرآن، وتاريخية ارتباطه بلحظة زمنية وتاريخية معينة حيث كان العقل يمارس آلياته وعمله بطريقة محددة"[1]

من هذا الكلام ندرك مدى الخلفية التي استند إليها أركون في علاجه لإشكاليات العقل العربي الإسلامي وأن من بين العوائق التي أعاقته عن التجديد واستنباط الجديد من القرآن، هو التنظيم الدغمائي المغلق كذا الفكر الميثي الخرافي المصادمين لكل من الفكر التاريخي والفكر الوضعي، وللوصول إلى نفس النتائج التي عرفتها أوروبا حينما طبقت النقد التاريخي على النصوص المقدسة مما أسهم في تقدم مجتمعاتها الغربية، لهذا لا بد من سلوك نفس النهج بأن تطبق القراءة التاريخية على القرآن وعلى التراث بشكل عام، وأن تفهم النصوص الدينية وتفسر من خلال إخضاعها للتاريخ وللمجتمع، والناظر في هذا المسلك يجد أن أركون كان متأثرا بكتابات (دانييل روس) الذي له عدة كتابات عن الأناجيل انطلاقا من نزعة نقدية تاريخية أنثروبولوجية حيث يقول أركون عنه: "عندما اطلعت على كتبه لأول مرة تساءلت قائلا: ألا يمكن أن نفعل شيئا مشابها فيما يخص القرآن؟ وماهي النتيجة التي سنتوصل إليها إذا ما قارنا بين الإنجيل والقرآن بهذه الطريقة؟ هذه هي نقطة البداية وهذا ما غذى فضولي المعرفي وعلى هذا النحو ابتدأت العمل في مجال القرآن"[2]

من هذا الفضول المعرفي الذي عبر عنه أركون عند قراءته للمستشرقين وأبحاثهم عن القرآن كانت بداية اشتغاله به إذ عمد فيه إلى استدعاء النقد التاريخي المقارن أثناء التحليل لكشف معانيه وجعله مفهوما بطريقة معقولة، حيث في تبرير ضرورة إعادة وضع تاريخ جديد للقرآن يقول: "إننا ندرك لماذا يشكل القرآن التاريخية بالنسبة إلى الفكر الإسلامي في نقطة انطلاق إلزامية من منهج العلموية، ويبدو في الواقع أنه لا مكان في المستقبل لخيار وهمي بين حقيقة موحى بها وحقيقة يحصل عليها بطريق جهد

[1] - محمد أركون، كتاب "الفكر الاسلامي قراءة علمية"، ص212
[2] - محمد أركون، كتاب "الفكر الاسلامي نقد واجتهاد"، ص266

تاريخي للمعقولية"[1] ثم يزيد تأكيدا على المنهج التاريخي بكونه واقعا وجب قراءة النص القرآني وفقه إذ يقول أيضا: "وهكذا فإن تصور التاريخية من خلال الواقع القرآني، وجملة الأوضاع التاريخية والمواقف الفكرية التي تطبع الإسلام، يكتسي أهمية تدشينية"[2]

إلا أن النقد التاريخي للنصوص المقدسة في نظر أركون ما زال ضعيفا وفي هذا يقول الدكتور كيحل مصطفى : "ويعيب أركون على الباحثين العرب المعاصرين عدم اهتمامهم بالنقد التاريخي للنص المقدس، وعدم نسجهم على منوال الغربيين في تعاملهم مع النصوص المقدسة"[3]

كما وظف أركون المفهوم التاريخي على الخطاب القرآني وأنه حافل بالأحداث التاريخية بما يدل على أن النص القرآني لا ينفصل عن العمليات الاجتماعية والتاريخية فهو يرى في سورة التوبة المثال الجلي عن تشكل : "التاريخ الحدثي والواقعي الناتج عن طريق الجماعة الوليدة للمؤمنين ومن أجلها (أقصد الجماعة التي تشكلت بين ما في 610 م و632 م)، كما وتشكل هذه التاريخية ديناميكية المتغيرات الحاصلة في المجتمع العربي أثناء الفترة نفسها، كذلك تشكل الوعي الأسطوري – التاريخي القادر على مفصلة التاريخ الأرضي المحسوس أو ربطه بالتاريخ المثالي المقدس للنجاة في الدار الآخرة، وهذا التاريخ المثالي المقدس هو الذي ظل المحرك الأساسي للتاريخ الأرضي المدعو إسلاميا حتى يومنا هذا"[4]

وعلى غرار تطبيق المنهج التاريخي في قراءة النص القرآني فإن محمد أركون وظف أيضا القراءة الأنثروبولوجية في التحليل والتأويل لما لها من أهمية في التأسيس النقدي للعقل وإخراجه من الموقف الدغمائي والميثي لهذا ألح على ضرورة دراسته وإعادة قراءة القرآن والفكر الإسلامي قراءة جديدة عن طريق الأنثروبولوجيا حيث يقول : "إن العلم الأنثروبولوجي يعلمنا كيفية التعامل مع الثقافات الأخرى بروح منفتحة متفهمة، وضرورة تفضيل المعنى على القوة أو السلطة ثم تفضيل السلم على العنف، والمعرفة المنيرة على الجهل المؤسس أو المؤسساتي"[5]

[1]- محمد أركون، مقال "الإسلام والتاريخية والتقدم"، ص27، مجلة الأصالة، العدد 49-50

[2]- المرجع نفسه، ص27

[3]- كيحل مصطفى، كتاب "الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون"، ص 258

[4]- محمد أركون، كتاب "القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب"، ص50

[5]- المرجع نفسه، ص6

وبالتالي فإن المنهج الأنثروبولوجي في الفكر الأركوني له رهان كبير في إعادة تشكيل المعرفة المتجددة للنص القرآني وللفكر العربي الإسلامي بعيدا عن التأويلات التاريخانية الايديولوجية، لذلك يقول الدكتور كيحل مصطفى : "يسعى أركون إلى دراسة المجتمعات العربية الإسلامية وفق المنظور الأنثروبولوجي"[1]، حيث كان موقع الاهتمام بالبحث الأنثروبولوجي عنده حين تحليله للمجتمعات العربية ولفكرها الإسلامي هو دراسة أنثروبولوجيا المقدس وانعكاساتها في التكوين الاجتماعي وأثر الخطابات الدينية المرتبطة بالنظم السلطوية، لهذا يدعو أركون إلى أهمية إعادة قراءة المقدس وفحصه ونقده لاكتشاف آثار التقديس على المجالات الدينية والسياسية حيث يقول في ذلك : "كان محمد وأتباعه الأولون يولون للتقديس مكانة أنطولوجية ووظائف رمزية وشعائرية وغايات عملية تجريبية وأنماط تعبير جمالية مختلفة عن تلك التي كان –أي التقديس نفسه- يتحلى بها في بيئات المعارضين، أقصد بالمعارضين هنا العرب الذين احتقروا وحط من قدرهم عن طريق نعتهم بالشرك والجاهلية والكفر"[2]

ومعنى هذا أن مفهوم التقديس من القراءة الأنثروبولوجية عند أركون لا يمكن فصله عن التشكلات الاجتماعية الفاعلة والدوافع السياسية الضاغطة والتي هي العناصر المؤسسة للمناهج الدينية والأنظمة اللاهوتية، حيث الموقف الدغمائي الحامي لها والضامن لاستمرارها.

من كل ذلك يرفض أركون هذا الاتجاه التقليدي للأديان حيث يؤكد على ضرورة تحويل مساره إلى مناهج التاريخ المقارن وفق القراءات التاريخية والأنثروبولوجية حيث دراسة الظواهر الدينية والاجتماعية أمكن في كشف الحقائق وأهدى في ضبط النتائج مما يصل فيه وفق منظوره إلى تشكيل علاقة جديدة بين الله والانسان وبين المقدس والدنيوي لذلك فإن أركون يرى : "بأن تحرير الأرض مرتبط بتحرير السماء ولذلك أعطيت الأولوية للتحرير الديني – أو الاصلاح الديني – على بقية أنواع التحرير الأخرى من سياسية واجتماعية وأخلاقية فهو الذي يخلع المشروعية على كل أنواع التحرير هذه"[3]

إذن بهذه الكيفية يؤسس أركون مشروعه - فيما يراه- عن النص القرآني حيث التجديد فيه بإحداث القطيعة في الفكر الإسلامي عن طريق النقد الإبستمولوجي له وتجاوز اللامفكر فيه وزحزحة

---

[1]- كيحل مصطفى، كتاب "الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون"، ص283

[2]- محمد أركون ، كتاب "تاريخية الفكر العربي الاسلامي"، ص266

[3]- محمد أركون، كتاب "قضايا في نقد االعقل الديني" ، ص281

الأسس والمسلمات التي ساهمت في إيجاد الخلط بين المثالي والواقعي والأسطوري والتاريخي والمنظور الديني العقلي والدغمائي، وإلى أفق تحليل النص وإرجاعه كما يقول إلى : " الواقع التاريخي الذي عاشه المعاصرون بكل تعقده وشدته الوجودية الأولى، وهذا يقتضي إعادة قراءة القرآن من حيث الأساس وإعادة الفحص النقدي للفترة التأسيسية التكوينية للذاكرة الجماعية الإسلامية، وسينجر عن هذا العمل كما هو الأمر في الغرب تصدع الوعي الميثي (الأسطوري) الذي كانت اللغة القرآنية موجهة إليه في اتجاهين اثنين فمن جهة تحل دعوة إيديولوجية وهي رائجة الآن، محل الدغمائيات الكلامية (اللاهوتية) السابقة، ومن جهة ثانية ممارسة مسؤولة لمعرفة وضعية ترمي إلى تغليب جانب التماس مفتوح للمعنى من وراء التخصيصات الميثولوجية والتاريخية والسوسيولوجية"[1] .

[1]- محمد أركون، مقال "الإسلام والتاريخية والتقدم" ، ص22، العدد 50، سنة 1971، مجلة الأصالة

الاستنتاج:

إلا أن التزام هذه المناهج وكذا هذه القراءات المؤسسة على المنظور الغربي من شأنها نقض الرؤية الإسلامية وما جاءت به من خصوصية منهجية تميزت فيه عن القراءات الحداثية الغربية التي كرست وصاية معرفية أثرت على كثير من النخب الفكرية من بينهم محمد أركون الذي استدعى مناهج الحداثة الغربية حيث أراد التجديد بها للدين الإسلامي خاصة عند مشروعه الموسوم بالإسلاميات التطبيقية متجاوزا بها شروط الإبداع في قراءة النص القرآني كما يقول الدكتور طه عبد الرحمان : "إذ يحفظ فيه المسلم صلته بما ثبت نفعه في تراث الأمة، علما بأن النفع الذي تسعى إليه هذه الأمة لا تقف آثاره عند حدود الذات، بل تعداه إلى نطاق الآخرين، كما لا تقف عند حصول الصلاح في العاجل، بل تتعداه إلى طلب الفلاح في الآجل، وقصدنا في هذا الفصل الرابع هو بالذات أن نوضح كيف أن الإبداع الموصول يوفي بمقتضيات القراءة الحداثية للقرآن بما لا يوفي بها الابداع المفصول الذي أنبتت عليه ممارسة القراءة القرآنية في العصر الحديث"[1]

وكما يقول الدكتور قطب الريسوني أيضا : "ولا يخفى على حصيف أن هذه المقاربة الغربية تروم نقض (الرؤية الإسلامية) للتاريخ كما جلاها علماء المسلمين، وارتضوا بها تطبيقا وتنزيلا، فقد كانوا يحتفلون بالأسانيد وقواعد نقد الروايات وسير الرجال وأسباب الحدث الزمني ومناسباته وسياق الحكاية، لإنهاض الحجج على صحة النقل، وسلامة المروي وهذا كله مما لا نصاب له في مقاربات أركون ومناهج الغربيين". [2]

[1]- طه عبد الرحمان، كتاب "روح الحداثة (المدخل إلى تأسيس الحداثة الاسلامية)"، ص175

[2]- قطب الريسوني، كتاب "النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر" ، ص247

المبحث الرابع:

نماذج من التطبيقات المنهجية

للنص القرآني في المشروع الأركوني

تمهيد:

إنه من خلال استعراضنا للمناهج التأسيسية وكذا تطبيقاتها المنهجية التي اشتغل عليها محمد أركون ندرك مدى التنوع الذي اعتمده في مشروعه النقدي للعقل العربي الإسلامي وفي مجال قراءته للنص القرآني حيث أعمل التفكيك فيها خصوصا لاختراق مجال المنسي والممنوع التفكير فيه - فيما يراه-، ليصل من كل ذلك إلى جعل تلك المناهج التي بيناها فيما سبق الركيزة الأساسية لقراءة وفهم جديد للسور والآيات القرآنية، وهذا ما نعمل على تحليته في هذا المبحث الذي يصح عده النتيجة والعصارة الفكرية للمشروع القرائي القرآني عند محمد أركون، مستفتحين بفاتحة الكتاب إذ أولى لها أركون اهتمامه وأبدى فيها منظوره.

المطلب الأول: قراءة سورة الفاتحة

حاول أركون قراءة سورة الفاتحة متجاوزا بها التفسير الكلاسيكي مستصحبا كلا من علم الألسنية والسيميائية وكذا التاريخية والأنثروبولوجية حيث صرح عن ذلك بقوله : "كنت قد حاولت في السابق تقديم ألسنية وسيميائية دلالية لسورة الفاتحة لكي أبين بالضبط مدى القطيعة الابتسمية الحاصلة بين الفكر الضمني الذي يستند عليه التفكير الإسلامي الكلاسيكي وبين العادات الجديدة للدلالة والمعنى التي يتيح لنا استكشافها علم الألسنيات والسيميائيات الحديثة"[1]

وبالتالي يرى أركون أنه قدم نظرة جديدة لسورة الفاتحة خاصة في كتابه (القرآن من التفسير الموروث إلى نقد الخطاب الديني)، استصحب فيها كلا من القراءة الألسنية والقراءة التاريخية والقراءة الأنثروبولوجية وهي كالآتي:

الفرع الأول: التطبيق الألسني السيميائي في قراءة الفاتحة

وظف أركون الألسنية في فهم اللحظة اللغوية التي تشكل فيها النص القرآني حيث فحص سورة الفاتحة من خلال عدة عناصر قصد كشف بنيتها اللغوية، يقول الدكتور حمادي هواري: "يبين أركون أهمية المقاربة اللسانية في استعادة اللحظة الأولى التي تشكل فيها النص القرآني من حيث لغته وما تحمله من أسماء وألفاظ وأفعال وحروف وبنى صرفية ونحوية، ويؤكد أنها ما زالت في بدايتها وأنها تتميز بالتشعب والتنوع"[2]

لذلك أكد أركون على ضرورة التمييز في عملية القول بين النطق وبين المنطوقة التي هي النص حيث يقول: "وفائدة التمييز هي أنها تتيح لنا أن نقيم درجة تدخل الذات المتكلمة أثناء عملية النطق وأنماط هذا التدخل كما وأنها تتيح لنا أن نعود إلى المنطوقة في صياغتها الناجزة أو المكتملة من أجل دراسة إنتاجيتها أو مدى إنتاجيتها"[3]

---

[1]- محمد أركون، كتاب "قضايا في نقد العقل الديني"، ص88

[2]- حمادي هواري، رسالة دكتوراه "النص القرآني وآليات الفهم المعاصر"، ص179

[3]- محمد أركون، كتاب "القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني"، ص125

وعليه فإن المقصد من تحديد النطق هو فهم المعنى الدقيق من طرف المتكلم ليحصل كما يقول هو أيضا: "تبادل بين الكينونة والكلام، بين العالم واللغة، بين الحياة والقول، بين الضرورة والحرية"[1]، فمثلا يؤكد أركون أن الأسماء الواردة في سورة الفاتحة والتي وردت بمختلف أنواعها معرفة إما ب "ال" أو بالإضافة مسبوقة بكلمة الله أو تؤول إليها مما يجعل لكلمة الله تحتل محورية من حيث المعنى، فالتركيبية اللغوية لكلمة "ال – حمد" تحمل قيمة إذ يقول عنها : "ينبغي أن نسجل هنا قائلين بأن فطنة المفسرين الكلاسيكيين كانت قد لمحت أو أدركت الأهمية المعنوية لهذا الاستخدام، وقالوا بأن أداة التعريف لها قيمة التعميم في الزمان والمكان"[2]

كما أن الإضافة تهدف إلى تفاعل على مستوى المعنى من خلال العلاقة بين الوظيفة النحوية والقيمة المعنوية حيث يقول أركون: "نحن نعلم أنه يوجد تفاعل نحوي متبادل بين المحدَد والمحدِد (المضاف/مضاف إليه) "[3]

إلى أن يصل إلى بيان أن اللغة القرآنية هي لغة رمزية وليست بنى حرفية لفظية مؤكدا على أن النص الوارد في سورة الفاتحة يحمل من الرمزية والانفتاحية والتي يسعى الفكر العلمي الراهن إلى اكتشافه والاشتغال عليه، وعن هذا يقول : "إن مفردات الفاتحة وبناها النحوية عامة جدا ومنفتحة جدا على كافة ممكنات المعنى، إلى درجة أنهما تمارسان دورهما كحقل رمزي تنبثق منه وتسقط عليه مختلف أنواع التحديدات والمعاني، ولكن لا توجد أي معرفة ولا أي نظام معرفي يمكنه أن يستنفذ معناه أو أن يثبته نهائيا، وهكذا نجد أننا حتى اليوم يمكننا أن نسجل في مواجهة كل علم من العلوم المشكلة من قبل المسلمين برامج بحوث متعددة الاختصاصات والعلوم، وهذا يعني أننا إذا ما أعدنا قراءة نص الفاتحة أو حددناه كما فعلنا آنفا، فإن ذلك يجبرنا على إعادة العلاقة مع الأسئلة الأصيلة والبدائية"[4]

[1]- نفس المرجع السابق، ص126

[2]- المرجع نفسه، ص127

[3]- المرجع نفسه، ص127

[4]- المرجع نفسه، ص 143

إن مقصد أركون من إعادة العلاقة مع الأسئلة الأصيلة هو أشكلة النص القرآني من خلال قراءته قراءة جديدة وبلغة رمزية حيث التطبيقات الألسنية هي المبلورة والمظهرة لها عما أحدثته التفاسير الكلاسيكية من قبر وتغطية ومن تكريس لخطاب غنوصي ميثي.

الفرع الثاني: التطبيق التاريخي في قراءة الفاتحة

استصحب أركون المنهج التاريخي في قراءته لسورة الفاتحة حيث اختار تفسير الإمام الرازي المعروف بـ (التفسير الكبير) أو بـ (مفاتيح الغيب) والذي يعتبره من أهم التفاسير منذ القرن الهجري الأول وإلى نهاية القرن السادس ولما حواه أيضا من مختلف التفاسير الأولى، وبالمقارنة التاريخية بين ما دونه الإمام الرازي من آراء واستنباطات خاصة به مع التفسيرات التي أوردها في كتابه (مفاتيح الغيب)، وعليه انطلق أركون في تفعيل التحليل التاريخي للخطاب القرآني في سورة الفاتحة انطلاقا من آراء الإمام الرازي ونظرته، والمؤسسة بحسب قراءة أركون له على جملة أنساق هي كل من (النسق اللغوي والنسق الديني والنسق الرمزي والنسق الثقافي وكذا النسق التأويلي أو الباطني)[1]، وكل هذه الأنساق التي استنبطها أركون من تفسير الرازي لسورة الفاتحة تمثل "المحددات الكبرى لفهم طبيعة العلاقة بين النص الأصلي للخطاب القرآني والنص المفسر"[2]، والتي هي شفرات متحكمة في تفسير الإمام الرازي.

يرمي أركون من كل هذا الكشف التاريخي في قراءة سورة الفاتحة إلى فتح آفاق جديدة في قراءة النص القرآني عن طريق آليات الفهم المعاصر ومن بينها أيضا ضرورة فهم اللحظة التاريخية الكامنة في الأحداث والسرد القرآني لاكتشاف القوانين المتحكمة في قراءته عوض القراءات الدغمائية التي كرستها وكلستها الخلفيات السياسية والإيديولوجية.

[1]- حمادي هواري، رسالة دكتوراه "النص القرآني وآليات الفهم المعاصر"، ص193-194

[2]- المرجع نفسه، ص195.

الفرع الثالث: التطبيق الأنثروبولوجي في قراءة الفاتحة

إن المتتبع لقراءة أركون للنص القرآني في عمومه يجد أنه دائما يركز على التخلف وعلى الدغمائية الممزوجة في التفسيرات الكلاسيكية والتي أسست للفكر الأسطوري والمجازي والخيالي في قراءة النص القرآني.

لذلك يرى أركون ضرورة استخدام القراءة الأنثروبولوجية في سورة الفاتحة لاستخراج المعاني المنفتحة الكامنة في بناها النحوية حيث يقول : "إن مفردات الفاتحة وبناها النحوية عامة جدا، ومنفتحة على كافة ممكنات المعنى إلى درجة أنهما تمارسان دورهما كحقل رمزي تنبثق وتسقط عليه مختلف أنواع التحديدات والمعاني"[1]

وعليه فإن القراءة الأنثروبولوجية للفاتحة تتجلى عند أركون فيما يلي:

" - **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**: هذا التعبير يحيلنا إلى علم الأصول الأنطولوجية والمنهجية للمعرفة، (يدعى علم الأصول في اللغة الإسلامية الكلاسيكية).

- **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**: يحيلنا إلى علم الأخرويات، (أي مجموع العقائد المتعلقة بالعالم الآخر كالبعث).
- **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** : يحيلنا إلى الطقوس والشعائر..
- **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** : يحيلنا إلى علم الأخلاق
- **الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** : يحيلنا إلى علم النبوة
- **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ**: يحيلنا إلى التاريخ الروحي للبشرية: موضوعات رمزانية الشر المعالجة في القصص المتعلقة بالشعوب أو الأقوام القديمة (وهي الشعوب التي عصت أنبياءها فعاقبها الله على ذلك)"[2]

من خلال هذا المعطى القرائي لسورة الفاتحة وبمقاربة أنثروبولوجية يذهب أركون إلى أن فيها انفتاحا على عدة معان حيث تقرأ وفق بعد ثقافي كوني، كما أن عبارة (المغضوب عليهم ولا

[1]- محمد أركون، كتاب "القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب"، ص 143

[2]- المرجع نفسه، ص142-143

الضالين) والتي تفسر في إطار اللعنة على اليهود والنصارى كما هو في أغلب التفاسير الكلاسيكية، إذ يقول عنها أنها تهدف : "إلى تأجيج الإحساس بالخطيئة والذنب، ولكن ليس إلا تحديد هذا الإحساس وتثبيته"[1]، وبالتالي فمن خلال رؤية أركون للفاتحة فإنها لا تتضمن إقصاء لغير المسلمين بقدر ما تهدف إلى توبيخهم وإحساسهم بالذنب.

هذه بعض المقاربات التي اعتمدها أركون في تحليله ودراسته لسورة الفاتحة والتي تتأسس على إعادة المنظور في التفسيرات الكلاسيكية، وحتمية نقدها وتجاوزها وفق قراءات جديدة تستدعى فيها مستويات الفهم المعاصر القائمة على اعتبار كل من الألسنية والتاريخية وكذا الأنثروبولوجية، حيث المعاني متجددة والدلالات الرمزية حاضرة وفاعلة في النص القرآني.

[1] - نفس المرجع السابق، ص144

المطلب الثاني: قراءة سورة الكهف

تعد سورة الكهف مرجعية أساسية انطلق منها أركون في نقد التفاسير الكلاسيكية، وكما يقول الدكتور كيحل مصطفى فإن : "هذه التفاسير لا تخرج عن ثلاثة اتجاهات فيما يخص تفسير سورة الكهف حيث يسميها أركون : أولا: التفسير النحوي والتاريخ الأسطوري وهو الذي اتبعه المفسرون القدامى، وثانيا: التفسير التحليلي والسكوني الاستشراقي على حد تعبير لويس ماسينيون، وثالثا: التوسع الرمزي للموضوعات الروحية والنموذجية المثالية للسورة في المخيال الجماعي."[1]

إلا أن أركون في تجديداته التفسيرية يجنح إلى التفسير النحوي والتاريخ الأسطوري بالتركيز على كل من الإمام الطبري في تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، وكذا الإمام الرازي في تفسيره الكبير المسمى (مفاتيح الغيب)، حيث جعلهما عمدته في تحليل سورة الكهف وقراءتها إذ يقول عنهما: "كيف قرأ هذان المؤلفان –أي الطبري وفخر الدين الرازي– سورة الكهف؟ كيف فهماها وشرحاها؟ وما هي المبادئ النظرية التي تتحكم بتفسير كل منهما، والمجريات التي اتبعاها لعرض موقفهما، والنتائج التي توصلا إليها"[2]

هذه المبادئ التي طرحها أركون كتساؤل والتي هي الحاكمة بتفسير كل من الإمامين (الطبري والرازي) ما هي إلا مجموعة مسلمات لاهوتية تعمل على تعالي النص القرآني وتقديسه مما أفقده لحظته التاريخية حيث الخطاب موجه إلى البشر وبلغة البشر كما أن نزوله مرتبط بوقائع اجتماعية وعن هذا يقول : "كلية النص القرآني المجموع بين دفتي المصحف هي كلام الله الموجه إلى النبي شخصيا أو إلى المخلوقات المتعددة عن طريق النبي الناقل – تبدئ سورة الكهف بالآية التالية:﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا**﴾"[3] [الكهف:01]

ومعنى هذا الكلام وفي تصور محمد أركون أن التفاسير الكلاسيكية لا تفرق بين الخطاب القرآني الشفوي وبين الخطاب الذي تحول إلى نص مجموع في كتاب، وعليه فإن سورة الكهف بما تحمله من مكانة في الثقافة الجمعوية حيث لقصصها حضور وانتشار واسع مما يدل على أن القرآن هو نص للحياة

[1]- كيحل مصطفى، كتاب "الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون"، ص304

[2]- محمد أركون، كتاب "القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني"، ص152

[3]- المرجع نفسه، ص153

كما اصطلح عليه هو إذ يقول عنه : "وكل ذلك يبين القوة البنائية والتحفيزية للخطاب القرآني بصفته كلام حياة (أو كلاما حيا)، وهذا ما يدعى بالوظيفة الوجودية المحركة للخطاب القرآني"[1]

لذلك انطلق أركون في تفسيره لسورة الكهف بعد بيانه للخلل المنهجي الوارد في التفاسير الكلاسيكية، وأن نظرتها اللاهوتية أعاقتها عن إدراك عدم التماسك الوارد في نص سورة الكهف، حيث يقول : "نحن نعلم أنه نادرا ما تُشكِل السور القرآنية وحدات نصية منسجمة، وإنما تتشكل في الغالب من نوع من التجاوز بين الآليات التي قد تختلف قليلا أو كثيرا في تواريخها لكن هذا لا ينفي إمكانية العثور على فكرة مركزية حتى في سورة طويلة جدا كسورة البقرة"[2]

ومن خلال فحصه لسورة الكهف وتقسيمه لها ليصل إلى التدليل على عدم انسجام الوحدة النصية في السورة وذلك من خلال المكونات التالية:

1. أن الآيات الثمانية من قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ**﴾ إلى قوله ﴿**وَازْدَادُوا تِسْعًا**﴾ من السورة لا يمكن عدها مقدمة للسورة لأنها تتحدث عن باعث مختلف عن غيرها من الآيات الواردة في السورة، كما أن هذه الآيات الثمانية الأولى نزلت في الفترة المدنية دون باقي الآيات الأخرى من السورة فإنها مكية، يقول أركون : "وأما من ناحية التسلسل الزمني، فنلاحظ أن هذه الآيات تنتمي إلى الفترة المدنية، هذا في حين أن مجمل السورة ملحق بنهاية الفترة المكية"[3]
2. أن الآيات من تسعة إلى خمسة وعشرين، أي من قوله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ**﴾ إلى قوله تعالى ﴿**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا**﴾ وأنها كما يقول : "تشكل الوحدة السردية الأولى وهي الحكاية الشهيرة للسبعة النائمين والمدعوة هنا باسم أهل الكهف"[4]

[1]- نفس المرجع السابق، ص 154
[2]- المرجع نفسه، ص147
[3]- المرجع نفسه، ص147
[4]- المرجع نفسه، ص148

ثم يدلل أركون على أن أداة الانفصال "أم" توحي بوجود بديل معدوم، مما يستنتج " أن نص الحكاية هذه قد تعرض لتحويرات أو لتغييرات"[1]، مستندا في ذلك على ما وصل إليه بلاشير من كشف عند مقارنته للآيات وأن هناك "شذوذ لغوي هو كلمة (سنين) الواردة بعد عبارة (ثلاث مائة) بدلا من سنة ﴿**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا**﴾"[2]، حيث يقول أركون معقبا عن هذا الاكتشاف: "وهذا ما يجعلنا نفترض العديد من الفرضيات حول شروط أو ظروف تثبيت النص كما يقول بلاشير"[3]

3. وأن الآيات من سبعة وعشرين إلى تسعة وخمسين أي من قوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ**...﴾ إلى قوله تعالى ﴿**وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا**﴾، "لم تلحق بالحكاية السابقة ولا بالحكاية اللاحقة (من 60 إلى 98)، إلا عن طريق علامات القول أو التعابير المشتركة على مدار الخطاب القرآني"[4].

وكما يقول هشام صالح معلقا على هذه الآيات مبينا مقصد أركون منها أن : "الآيات (من 27 إلى 59) لا علاقة لها بالقصة وهي تعود للتحدث عن موضوعات عامة لا يمل القرآن من تكرارها وهي موضوعات عبادية، ووعظية، مليئة بالوعد للمؤمنين، والوعيد للكافرين..."[5]

4. والآيات من 60 إلى98 من قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ**..﴾ إلى قوله تعالى ﴿ **وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا**﴾، حيث أطرتا في نسق سردي وخطاب قصصي كلها مستقلة في قراءة أركون عن بقية السورة.
5. ثم تنتهي كما يقول "السورة بالآيات 99-110 التي تعيدنا إلى ما سندعوه بالخطاب التبشيري.[6]

[1]- نفس المرجع السابق، ص148

[2]- المرجع نفسه، ص 148

[3]- المرجع نفسه، ص 148

[4]- المرجع نفسه، ص148

[5]- المترجم هاشم صالح، تعليق نفس المرجع السابق، ص149

[6]- المرجع نفسه، ص149

إن اهتمام أركون بسورة الكهف واعتماده عليها هو في بيان تأثير المخيال الأسطوري الذي غذى تأملات المسلمين ومخيالهم عبر القرون حيث شكل تراكما تراثيا رمى الممكن التفكير فيه في دائرة المستحيل التفكير فيه، وأن مسألة التعالي التي مورست كثقافة مشتركة بين جميع المجتمعات هي التي أدت إلى انتشار ظاهرة المقدس "حتى تمارس فعلها كنظام لإضفاء المشروعية على التصرفات الفردية والجماعية"[1]، يقول الدكتور محمد بن حجر القرني معقبا عن استنتاجات محمد أركون السابقة : "إن الذي نقرأه لأركون من خلال ما سبق هو التالي:

1) المخيال الشعبي أعطى للقرآن صفة التعالي لإضفاء المشروعية وتسويغ السيادة العليا لسلطة القرآن على أنه كلام الله وعلى هيبة النبي واحترامه.
2) المخيال يجعل من القرآن وكأنه مرجع فوق بشري أو فوق فردي يتجاوز البشر والفرد
3) هذا الخيال ضروري في مجتمعات الكتاب المقدس لأنه مجيِش وفعال للجماهير خصوصا المجتمعات البدائية المتخلفة"[2]

لذلك يرى أركون أنه لابد من الاعتماد على التحليل النفسي والاجتماعي والتاريخي لكشف مستويات التعالي الذي هو في تصوره يمكن أن يكون مجازا مثاليا أو أسطرة أو تزييف أو تحريف أو أدجلة، في سورة الكهف بل وفي القصص التوراتية والانجيلية والقرآنية ليصل من وراء المثال القرآني و التراث الاسلامي إلى : " أن هدف القراءة كلها هو المساهمة في تحرير المعرفة التاريخية من إطار القصة ومجرياتها من أجل جعلها تتوصل إلى وظيفة الكشف عن الرهانات الحقيقية للتاريخية"[3]

إلا أنه يرى أن المنهج التاريخي ما زال ضعيفا في نقد النصوص المقدسة، وأن تاريخية القرآن وارتباطه بلحظة زمنية من شأنه تعرية الخلط الكامن في التفاسير التقليدية والفكر التاريخي القديم المشبعة بالقصص الأسطورية الدغمائية لذلك "فإن تصور التاريخية من خلال الواقع القرآني وجملة الأوضاع التاريخية والمواقف الفكرية التي تطبع الاسلام، يكتسي أهمية تدشينية"[4]

[1]- نفس المرجع السابق، ص173

[2]- امحمد بن حجر القرني، كتاب "موقف الفكر الحداثي العربي من أصول الاستدلال في الاسلام"، ص300

[3]- محمد أركون، كتاب "القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني"، ص174

[4]- محمد أركون، مقال "الاسلام والتاريخية والتقدم"، ص27، العدد 49-50، سنة 1971، مجلة الأصالة

والحقيقة أنه من خلال استقرائنا لإلحاح محمد أركون على ضرورة استصحاب الترتيب التاريخي في قراءة النص القرآني ونقده لعدم الارتباط الوارد في آيات سورة الكهف إنما ذلك من خلال تأثره كما ذكر تلميذه ومترجم أعماله هاشم صالح بالمدرسة الاستشراقية الألمانية خصوصا دراسات (نولدكه) وفي هذا الصدد يقول : "وقد حاولت هذه المدرسة ترتيب سور القرآن بشكل تاريخي متسلسل، لأن القرآن ليس مرتبا بشكل تاريخي كما هو معلوم، واكتشفت هذه المدرسة عدة مراحل مكية متسلسلة وعدة مراحل مدنية متسلسلة أيضا، واكتشفت بعدئذ أن بعض الآيات قد دمجت في سور لا تنتمي إليها في الواقع، كما هو الحال فيما يخص سورة الكهف التي يتصدى أركون لدراستها هنا، إن كل هذه الإضاءات للنص القرآني قدمتها لنا المنهجية الفيلولوجية والتاريخية الألمانية المشهورة بدقتها وصرامتها"[1]

ومن نتيجة القول عن قراءة أركون لسورة الكهف ونقده للتفاسير الكلاسيكية لها إنما هو في الحقيقة إسقاط لقيمتها المعرفية بالتشكيك في نتائج استنباطات العلماء الأجلاء ومن خلال مصطلحات ومناهج مستلة من محاضن الغرب يدعي فيها أركون الابداع المنهجي والصرامة العلمية وما هي إلا كما يقول الدكتور طه عبد الرحمان: "تقليد صريح لما أنتجه واقع الحداثة في المجتمع الغربي، متعرضة بذلك لآفات منهجية مختلفة، ولا ينفع أن يقال إن إبداع هؤلاء القراء يتجلى في كونهم قاموا بتطبيق منهجيات ونظريات لم تطبق على القرآن من قبل، لأننا نقول إن هذا التطبيق لا يعدو كونه إسقاطا آليا، والاسقاط لا إبداع معه، بل إن هذا التقليد جعل قراءتهم ترجع إلى زمن ما قبل الحداثة، وهو زمن الوقوع تحت الوصاية الذي ثارت عليه بالذات الحداثة، وهكذا، فقد رضي هؤلاء بأن يضعوا أنفسهم، اختيارا، تحت الوصاية الثقافية لصانعي الحداثة الغربية، فكانت قراءاتهم، بموجب روح الحداثة نفسها، عبارة عن قراءات القاصرين، لا قراءات الراشدين".[2]

[1]- تعليق المترجم هاشم صالح في كتاب "القرآن من التفسير الموروث إلى خطاب التحليل"، ص147.

[2]- طه عبد الرحمان، كتاب "روح الحداثة (المدخل إلى تأسيس الحداثة الاسلامية)"، ص192-193.

المطلب الثالث: قراءة سورة التوبة

إن المستقرئ لمنهج أركون في مجموع قراءته للنص القرآني يجد أنه لا يستهدف النصوص القرآنية كاملة وإنما ينتقي بعض الآيات من بعض السور لتقديم مشروع تفسيري جديد في تصوره للقرآن الكريم حيث أعمل فيها أدوات العلوم الإنسانية لإبراز القوى التاريخية والاجتماعية والثقافية التي كان لها دور في تشكيل النصوص المقدسة عقيديا وإيديولوجيا.

هذا ما فعله في الآية الخامسة والسادسة من سورة التوبة عند قوله تعالى ﴿**فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾، فهو قد استصحب المنهج السيميائي الألسني كإجراء أدواتي لإنتاج المعاني الكامنة فيها، يقول الدكتور كيحل مصطفى: "وفي قراءة أركون لهاتين الآيتين يسعى إلى إبراز المفاهيم التي هي نتاج البحث السيميائي والألسني المعاصر، وكيف يمكنها أن تتنزل على الخطاب القرآني"[1]

ومن منطلق الجهاز اللغوي الوارد في أبنية الآية الخامسة يكشف أركون عن النماذج الفاعلة والمتحكمة بالعلاقات بين كل من :"

1) الله (الفاعل – الذات): ويتخذ صفة المرسِل والمرسل إليه لأن الأمر يبدأ من عنده ويعود إليه في النهاية من خلال عدة أدوار يقوم بها ويتشكل نتيجتها الخيال الديني وتماسكه.
2) محمد (الفاعل – الذات): وهو كذلك مرسَل إليه ومرسِل يمثل دور الوساطة، ويقع في علاقة تحالفية مباشرة مع الله وهو المسؤول عن تحيين الرسالة وتجسيدها في التاريخ.
3) المرسل إليه الجماعي (فاعل – ذات): معقد وهو المقصود في النهاية بوصول الرسالة وإحداث تغيير في تركيبته مع شرح مفصل لصفة التعقيد من أين اكتسبها وكيف"[2]

هذه الروابط الثلاث الفاعلة والمتحكمة بالعلاقات ما هي إلا كما يقول أركون: "وحدة سردية صغيرة مدمجة في الوحدة المركزية الكبرى المتمثلة بحكاية الميثاق الأول الذي ربط بين آدم والله (انظر سورة

[1]- كيحل مصطفى، كتاب "الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون"، ص298.

[2]- محمد أركون، كتاب "الفكر الاسلامي قراءة علمية"، ص94

الزلزلة)، ثم أن هذه الحكاية قد استعيدت ووضعت من خلال الحلقات العديدة المشكلة لتاريخ الخلاص"[1]، وهي تشير أيضا إلى تركيبة سيميائية كما هي عند قوله : "إذا ما مزجنا بين البنيان التمثيلي القصصي، ومخطط التنصيص القانوني، (أي تركيبة الآيات النحوية القانونية) ثم مخطط السرد المتبع فإننا نحصل على التركيبة السيميائية التالية التي تشمل كل النص القرآني (أو التي هي شائعة في كل النص القرآني: "

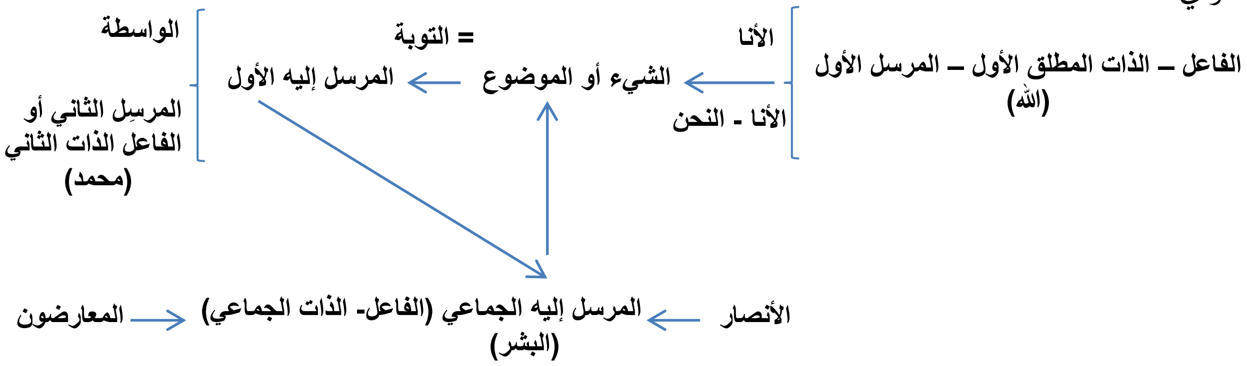

"[2]

يقول هاشم صالح عن هذا المخطط السيميائي الذي وظفه في قراءته للآية الخامسة من سورة التوبة والذي أشار أركون أنه يمكن أن يكون نموذجه شاملا على كل النص القرآني: "يهدف أركون عن طريق استخدام المنهجية السيميائية والألسنية في الصفحات التالية إلى تحرير القارئ المسلم من هيمنة النصوص المقدسة ولو للحظة من الزمن لكي يستطيع أن يفهم العلاقات الداخلية للنص بكل حيادية وموضوعية ولكي يهيئه فيما بعد لاكتشاف العلاقة بين النص والتاريخ (تاريخية النص)"[3]

ومن خلال التتبع فإن التحليل السيميائي الذي وظفه أركون في قراءته لسورة التوبة والذي يهدف إلى تطبيق الزحزحة على النص القرآني الذي دون زمن سيدنا عثمان إذ أنه يختلف في تصور أركون عن الخطاب القرآني الذي نزل على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام حيث أن الأول يشكل هالة مقدسة عملت الخلفيات الإيديولوجية والسلط السياسية على تشكيله، وحيث أن المنهج السيميائي الألسني كفيل في نزع الهيبة اللاهوتية عن النص القرآني عند التعامل معه من زاوية لغوية صرفة وصرامة منهجية علمية، ليصل من كل ذلك إلى إعادة تأويل القرآن وقراءته من جديد مستخدما المنهجيات المعاصرة معيدا النظر في مفهوم الوحي بحد ذاته.

[1] – نفس المرجع السابق، ص100.
[2] –المرجع نفسه، ص100.
[3] – تعليق المترجم هاشم صالح للمرجع السابق، ص99.

الاستنتاج

إن هذه الالتزامات المنهجية والقراءات الحداثية الفكرية وإن جازت أن يتعامل معها مع النصوص البشرية والحقول التراثية التي أفرزتها العقول الإنسانية، فإن النصوص الربانية بمنأى عن هذه التحاكمات العقلية والتجاذبات الفكرية وهذا ما غفل عنه محمد أركون عند نقده التعميمي بين الفكر الإسلامي والعقل الديني الذي أنتجته المنظومة الاجتهادية الإسلامية حيث يرى استحالة التأصيل فيها، وبين النص القرآني الصادر من عند الله الذي سيج في تصوره في قوالب دغمائية ومدونة رسمية مغلقة، مما أنتج له هذه الانحلالات الفكرية والانخلالات المنهجية التي أبعدت محمد أركون عن تمثل المنهجية الحقيقية في المعرفة القرآنية، وكما يقول الدكتور الحسن العباقي عن شبهة أركون ومنظوره عن النص القرآني: "لا شك في أن الأمر لا يستقيم، خاصة أن القرآن ليس نصا أكاديميا، كيف نطلب منه الصرامة المنهجية التي تنزع كثيرا إلى المحافظة على الشكل دون المضمون، إنه كتاب هداية يتوخى الوعظ والارشاد، يدعو إلى الفضيلة ويحذر من الرذيلة، يضم كلاما عن الغيب، وآخر عن عالم الشهادة، ليس كتابا في الكيمياء أو الفيزياء أو الفلك أو التاريخ أو الجغرافيا، لكنه يضم في طياته الكثير من العلامات والإشارات التي يدرك متانتها المتخصصون بتلك العلوم، كتاب أراد به منزله أن يكون (هدى للمتقين)" [1]

[1]- الحسن العباقي، كتاب "القرآن الكرين والقراءة الحداثية"، ص55

الخاتمة

أهم نتائج البحث

من خلال ما سبق البحث فيه يتجلى لنا أن إشكالية النص القرآني في الفكر الحداثي عموما وفي فكر محمد أركون خصوصا تعد إحدى التحديات التي تجابه عقيدة المسلم الصحيحة وعقله الفطري السليم، وذلك بالنظر إلى ما يعمل عليه الفكر العلماني الحداثي من مناهضة للدين باستهداف أسسه وفصل منظوره القيمي والأخلاقي عن شعاب الحياة، كيف لا وهذه المناهج الغربية الغربية تستنهض الأنسنة بدل الألوهية والعقل عوضا عن الوحي وتفصل الحياة عن الآخرة كل ذلك من المنطلقات الفلسفية الوضعية والمنجزات العلمية المادية التي وصل إليها الفكر الإنساني المعاصر.

ونتيجة لتقليد الحداثيين العرب للمنتج العلمي والمنهجي الغربي، تسربت المقاربة العلمانية والحداثية داخل المنظومة الاسلامية حيث أوجدت القطيعة بين النص والواقع وبين المناهج التأويلية الحديثة والتفسير الاسلامي كل ذلك للوصول إلى فكرة الازالة والزحزحة عن قدسية النص القرآني وجعله منتجا ثقافيا يحتفه الإطار التاريخي.

ومن منطلق التجديد والتنوير للفكر العربي والاسلامي وبدعوى العقلنة والتحضر انصبت جهود كل من محمد عابد الجابري ونصر حامد أبوزيد ومحمد شحرور وحسن حنفي وعبد المجيد الشرفي وطيب تيزيني ومحمد أركون وغيرهم من الحداثيين، في هذا الاتجاه التحديثي فمنهم من ركز على التراث العربي إذ يرى فيه الإعاقة والاشكال ومنهم من اهتم بالنص القرآني فطبقوا على التراث وعلى القرآن آليات القراءة والتأويل النقدي وعبر أدوات المناهج التاريخية واللسانية والبنيوية والتفكيكية والهرمونوطيقية وكلها مناهج إيديولوجية ذات المصدر الغربي إذ لها مواقف حاسمة اتجاه الدين عموما ومن كل نص مقدس خصوصا.

وبالتالي فإن هؤلاء الحداثيين العرب الذين يدعون العقلانية والتقدمية هم ماضويين ورجعيين بتكريسهم التبعية للنموذج الغربي وإلحاق أمتهم به، حيث أن كثيرا من الدراسات الغربية نفسها تدين وتشهد بالقصور الفكري والمنهجي لهؤلاء الحداثيين العرب.

وعليه فإن النتائج التي توصلنا إليها من خلال استقرائنا وتحليلنا لإشكالية النص القرآني في فكر محمد أركون هي كما يلي:

1. أن أركون درس التراث العربي الإسلامي وكذا النص القرآني بنفس الكيفية التي درس بها العلماء الغربيون تراثهم ونصوصهم المقدسة المتمثلة في التوراة والإنجيل، مما أفقده التناول الموضوعي في تحليلاته ونقوده التي يدعي فيها الالتزام بالحيادية والنزاهة والصرامة.

2. أن من أهم القراءات التأويلية التي راهن عليها أركون هي القراءة الألسنية والسيميائة حيث اشتغل عليها منهجا وتطبيقا في إبراز مشروعه التفسيري الجديد، مما أنتج له الخلط المنهجي في تعامله بين النص الإلهي والنص البشري، أدى به إلى تناقضات ونتائج غير سديدة.
3. كما نلمس اعتماد أركون في قراءاته على كثير من آراء المستشرقين كمسألة الترتيب الزمني للآيات والسور القرآنية والتي أخذها من المستشرق الألماني نولدكه، والمنهج التفكيكي الذي تأثر به من المستشرق اليهودي الفرنسي جاك دريدا، والمنهج البنيوي من السويسري دي سوسير، والحفر الأركيولوجي من الفرنسي ميشال فوكو، والمنهج التاريخي من دانييل روس، وكذا المنهج الهرمونوطوقي الذي أنتجته الفلسفات والمناهج الغربية المعاصرة كنظرة تأويلية مقدمة وحاكمة على الموروثات وكذا النصوص الدينية، مما يدل على الخلفية التي تشبع بها فكره، آلت به إلى وثوقية مرضية أنتجت له رؤى غير صحية.
4. إن المناهج التي اعتمدها محمد أركون والقراءات المنهجية التي طبقها على النص القرآني تهدف في ما بيناه سابقا رفع القداسة عنه ومساواته مع النص البشري، كل ذلك دال على عدم صدقية الإجراءات المنهجية وسوء استخدام الأدوات المعرفية.
5. وأن نظريته عن أنسنة الفكر العربي التي أسس عليها كل تحليلاته ومشاريعه الفكرية والتي يمكن تحديدها في خرق الحدود المقدسة ثم زحزحتها من مواضعها اللاهوتية ثم التجاوز بها من دائرة اللامفكر فيه إلى حقول الانفتاح والمفكر فيه، ما هي إلا نظرات متهافتة على قواعد واهية دلت البحوث والدراسات العلمية الغربية نفسها عن عدم جديتها ومتانتها.
6. يهدف المشروع الأركوني فيما يراه إلى إقامة تأويل جديد للفكر العربي الإسلامي يكون الفهم الانفتاحي الجديد للقرآن عوضا عن الفهوم الدغمائية والمنغلقة، هذه الطروحات مما جاءت به فكرة الأنسنة في مشروعه الفكري، حيث آل به هذا الفهم الانفتاحي إلى فقد الالتزام والاتزان إذ جره ذلك إلى تأويلية وضعية مفصولة تختلف في منطلقاتها ونتائجها عن التأويلية الإسلامية المأصولة والموصولة.
7. كما يرمي أركون في كل نقوده وقراءاته إلى تأسيس علمانية دينية حيث أن العلمانية في منظوره موجودة في القرآن وأن الإسلام ليس مضادا لها، وهذه الفكرة تتناغم أيضا مع نزعة الأنسنة في الفكر العربي الذي اشتغل عليها كقاعدة لمشروعه الفكري، إلا أن هذا التأسيس العلماني الملفق أدى به إلى إيجاد التناقض بين النظرة الحسية الوضعية التي أنتجها الفكر الغربي عن الوجود وبين الرؤية الكونية التي جاء بها القرآن في تمثلاته النصية ومقاصده الكلية.

ومن خلال هذه النتائج التي خلصنا إليها عن إشكالية النص القرآني في فكر محمد أركون الذي يعد نموذجا من النماذج الحداثية المتعددة التي أشكلت المعرفة حول التراث والثوابت، فإن السؤال المحوري الذي يستدعي منا الجدة والاجتهاد هو كيف نصل إلى تأسيس قراءة قرآنية كلية ومتكاملة دون الإخلال بثوابته القطعية ولا بتعطيل الطاقات الابداعية التي ورثها علماؤنا من القراءة المحمدية مع اعتبار المنتجات المعرفية والمنهجية المعاصرة ومن غير تلفيق أو تلصيق، حيث نُعمِل فيها الفحص السليم المؤسس على الهدي المأصول والإبداع الموصول.

والله أعلم، وهو الموفق وحده

والحمد لله أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ملخص الدراسة

بالعربية والإنجليزية

ملخص الدراسة بالعربية

عنوان الدراسة: إشكالية التعامل مع النص القرآني في فكر محمد أركون (عرض ونقد)

إن المستقرئ للواقع الفكري يجد فيه كما هائلا واهتماما بالغا بالنص القرآني تستهدف في مجموعها تحديثه انطلاقا من رؤية غربية لا تخلو من نزعة ذاتية وخلفية عدائية القصد منها زرع بذور التشكيك ونزع القداسة عن ثوابت الأمة المعرفية خاصة ما يتصل منها بكتاب ربها الذي هو محور استلهامها المعرفي ومنطلق تجديدها الحضاري.

ومن مرتكز السيادة العقلانية التي ترى الذات العاقلة هي محور الاستمداد ومنطلق الاستلهام تشكلت الأنساق الحداثية الغربية في إيجاد منابع قرائية للنص القرآني حيث انتماءاتها الحقلية خارجة عن الحقل الدلالي الذي جاء به الهدي القرآني من مقاصد ورؤية كونية هادية للفكر والفعل الإنساني إلى تحقيق ائتمان حضاري لازالت الرؤية الحداثية الغربية بمعزل عنها لاختلاف المدارك المعرفية ومنطلقات الانتماء بينها وبين الحضارة الإسلامية وبما أن غالب انتماء الفكر المعاصر الحديث من الحقل العلماني والفكر الاستشراقي فإن المناهج العلمية المستقاة من تلك الحقول أنتجت تعقيدا فكريا غير سليم في تفسيرها للنص القرآني أدت بها إلى اختلالات واختلافات منهجية ومعرفية في التعامل مع النصوص القرآنية.

وعليه فإن دراستنا تأتي كشفا لنموذج قراءة من القراءات الحداثية التي تدعي امتلاك المشروطية وحصر المشروعية في قراءتها للنص القرآني، لنصل من خلال التتبع والتحليل إلى بيان ضرورة الاهتمام بالدراسات القرآنية من خلال القراءة السليمة للنص القرآني وعن طريق قواعد التعامل مع النصوص وفق مناهج الاستنباط التي أرساها علماؤنا إذ يستلزم فهمها امتلاك أدوات الاجتهاد للتجديد لإظهار مقاصدها ودفع الإشكالات الواردة عليها.

Study title: The problem of dealing with the Quranic text in the thought of Muhammad Arkoun (presentation and criticism)

The examiner of the intellectual reality finds in it a huge amount and great interest in the Quranic text, aiming as a whole to update it based on a Western vision that is not devoid of self-inclination and a hostile background. cultural regeneration

And from the foundation of rational sovereignty that sees the rational self as the axis of derivation and the starting point of inspiration, Western modernist systems were formed in finding reading sources for the Quranic text, as their field affiliations are outside the semantic field that the Quranic guidance brought from purposes and a universal vision guiding human thought and action to achieving a civilized credit The modernist vision is still Western in isolation from it due to the different cognitive perceptions and the starting points of affiliation between it and the Islamic civilization, and since the majority of modern contemporary thought belongs to the secular field and orientalist thought, the scientific approaches drawn from those fields produced an intellectual complexity that is not sound in their interpretation of the Quranic text, which led them to imbalances and methodological and cognitive differences in dealing with Quranic texts

Accordingly, our study comes as a revealing of a reading model from the modernist readings that claim to possess conditionality and limit the legitimacy to their reading of the Quranic text, so that we can reach, through tracking and analysis, a statement of the need to pay attention to Quranic studies through proper reading of the Quranic text and through the rules of dealing with texts according to the methods of deduction established by our scholars It requires understanding them to have the tools of diligence for renewal to show their intentions and push the problems that arise on them.

الفهارس

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

- القرآن الكريم برواية ورش
- الحديث الشريف صحيح مسلم وسنن الترميذي ومسند الإمام أحمد
- كتب ومقالات محمد أركون:

- محمد أركون ، " الفكر الأصولي واستحالة التأصيل"، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط1، 1999
- محمد أركون ، "الفكر الإسلامي قراءة علمية"، ترجمة هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1992
- محمد أركون ، "القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني"، ترجمة هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2001
- محمد أركون ، "تاريخية الفكر العربي الإسلامي"، ترجمة هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1996
- محمد أركون ، مقال "الإسلام و التاريخ و الحداثة"، ترجمة هاشم صالح ، مجلة الوحدة، المجلس القومي للثقافة العربية ، الرباط ، عدد1، سنة 1989
- محمد أركون، "الإسلام، أوروبا، الغرب، رهانات المعنى وإرادات الهيمنة"، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط2، 2001
- محمد أركون، " أين هو الفكر الإسلامي المعاصر" ، ترجمة هاشم ثالح، دار الساقي، بيروت، 1993
- محمد أركون، "الفكر الإسلامي نقد واجتهاد"، ترجمة هاشم صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993
- محمد أركون، "الفكر العربي" ،ترجمة عادل العوى، منشورات عويدات، بيروت، ط3، 1985
- محمد أركون، "قضايا في نقد العقل الديني" ، ترجمة هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، ط2، 2000
- محمد أركون، "من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي"، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط2، 1993
- محمد أركون، "نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية"، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، ط1، 2011
- محمد أركون، "نزعة الأنسنة في الفكر العربي، جيل مسكويه والتوحيدي"، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط1، 1997
- محمد أركون، مقال "الإسلام والتاريخية والتقدم"، ص22، العدد 50، سنة 1971، مجلة الأصالة، ج17 العدد 50/49 .

ثانيا: المراجع

- إبراهيم السكران، "التأويل الحداثي للتراث"، مركز تفكر للبحوث والدراسات، السعودية، ط2، 2017
- أحمد بوعود، "الظاهرة القرآنية عند محمد أركون"، منشورات الزمن، الدار البيضاء، ط1، 2010
- أحمد محمد حسين الدغشي، "نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية"، دار الفكر، دمشق، ط1، 2002
- امبارك حامدي، كتاب "التراث وإشكالية القطيعة في الفكر الحداثي المغاربي" ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2017
- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، كتاب "البرهان في علوم القرآن" ، المكتبة العصرية، بيروت
- الحسن العباقي، كتاب "القرآن الكريم والقراءة الحداثية"، دار صفحات للنشر، ط1، دمشق، 2009
- حسن حنفي، كتاب "تأويل الظاهريات"، مكتبة النافذة، القاهرة، ط1، 2006
- خزعل الماجدي، كتاب "علم الأديان (تاريخه/مكوناته/مناهجه/أعلامه/حاضره/مستقبله)"، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ط1، 2016
- دي سوسير ،كتاب "محاضرات في الألسنية العامة"، ترجمة عبد القادر قينيني ، دار افريقيا الشرق، 1987
- سعيد النكر، كتاب "سؤال المعاصرة والشرعية في قراءة النص القرآني"، دار السلام ، القاهرة، ط1، 2013
- طه عبد الرحمان، كتاب "روح الحداثة (المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية)"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2013
- عبد الإله بلقزيز، كتاب "نقد التراث"، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2014
- عبد الباقي مفتاح ، "شروح على التفسير الإشاري للشيخ محمد محي الدين ابن العربي"، ج4، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2017
- عبد المجيد النجار، "مراجعات في الفكر الإسلامي"، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2008
- عز الدين معميش، كتاب "الحداثة والنص الديني التفكيكية نموذجا"، دار الخلدونية، ط2013
- علي ابن محمد الشريف الجرجاني، كتاب "التعريفات" ، دار النفائس، بيروت، ط2، 2007
- علي حرب، كتاب "نقد النص"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1993
- قطب الريسوني، كتاب "النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر"، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط1، 2010
- كيحل مصطفى، كتاب " الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون"، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2013
- لسان العرب لابن منظور، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ
- مالك بن نبي، "الظاهرة القرآنية الأعمال الكاملة "، دار الفكر، دمشق، ط1، 2017
- محمد أبو القاسم حاج حمد، "منهجية القرآن المعرفية"، دار الهادي، بيروت، ط1، 2003
- محمد أحمد عبد القادر، "الأصيل والدخيل في الفكر الإسلامي"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2013

- محمد الحيرش، "النص وآليات الفهم في علوم القرآن"، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2013
- محمد الشاهد، "رحلة الفكر الإسلامي من التأثر إلى التأزم"، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1994
- محمد القربي، كتاب "موقف الفكر الحداثي العربي من أصول الاستدلال في الإسلام"، مجلة البيان مركز البحوث والدراسات، ط1، 2012
- محمد بن أحمد جهلان، كتاب "فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني"، دار صفحات للنشر، دمشق، ط1، 2008
- محمد عبد الله دراز، "النبأ العظيم"، دار القلم، القاهرة، ط8، 1996
- محمد عمارة، كتاب "قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي"، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2006
- محمد مجتهد شبستري، "الهرمنيوطيقا الكتاب والسنة" ترجمة حيدر نجف، دار التنوير، بيروت، ط1، 2013
- مرزوق العمري، كتاب "إشكالية تاريخية النص الديني"، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012
- ميجان الرويلي والدكتور سعد البازعي، كتاب "دليل الناقد الأدبي"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2002
- نصر حامد أبوزيد، "مفهوم النص دراسة في علوم القرآن"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط7، 2005
- وهبه الزحيلي ، كتاب "أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط3، 1998

ثالثا: الأطروحات والرسائل

- حاجي رشيد، رسالة ماجستير "النص الديني والمناهج الغربية في الفكر العربي المعاصر، محمد أركون أنموذجا"، قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، السنة الجامعية 2012-2013
- حمادي هواري، رسالة دكتوراه بعنوان "النص القرآني وآليات الفهم المعاصر"، قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، السنة الجامعية 2012-2013

رابعا: المقالات

- أحمد جاد الكريم الحسن، مقال "البنية والبنيوية"، شبكة الألوكة www.aluka.net تاريخ المقال:2016/02/29 ميلادي – 1437/05/20 هجري
- الحاج دواق، مقال "العقل الاستطلاعي عند محمد أركون وتطبيقاته في نقد الاستشراق الكلاسيكي"، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 22 جوان 2016، جامعة باتنة، http://hdl.handle.net/123456789/734 تاريخ النشر: 2016/06
- عبد الحق طالبي، مقال "قراءة في المنهج الأركيولوجي"، جامعة عباس لغرور، خنشلة، https://www.asjp.cerist.dz تاريخ النشر: 2019/03/15،

- عبد المجيد خليقي، مقال "نقد العقل الإسلامي / مدخل إلى دراسة المشروع الفكري عند محمد أركون"، ملتقى دولي بعنوان الثقافة العربية في القرن العشرين عن مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 2013.
- فهد بن محمد القرشي، مقال "التفكيكية مفهومها، أصولها، تطورها، نقدها" ، مجلة أبحاث،العدد19 (سبتمبر 2020)، كلية التربية، جامعة الحديدة https://www.asjp.cerist.dz
- محمد عمارة، "مقدمة كتاب سؤال المعاصرة والشرعية في قراءة النص القرآني للدكتور سعيد النكر"، دار السلام، القاهرة، ط1، 2013م
- محمد كمال الدين إمام، مقال ضمن أعمال الندوة العلمية الدولية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء يوم 27 يونيو 2013، عنوان المقال: "فقه السياق وحدود التأويل (دراسة مقاصدية)"، ص465
- هيثم الحلي الحسيني، مقال بعنوان "منهج البحث الأريكولوجي الحفري والدراسات المعمقة في التراث العلمي"، موقع الامام الشيرازيhttps://alshirazi.com تاريخ النشر: 2011/07/24م الموافق لـ 1432/08/23هـ
- وليد القصاب، مقال "التفكيك منهج خطير في التفسير"، شبكة الألوكة ، https://www.alukah.net ، تاريخ النشر:2013/03/24م الموافق لـ 1434/05/12هـ
- يزة عبد الرحمان مصباح، مقال "البنيوية اللغوية عند فرديناند دي سوسير" ، مجلة كلية الآداب، العدد 14ديسمبر 2019، جامعة مصراتة، https://doi.org/10.36602/faj.2019.n14.03 تاريخ النشر: 2019/10/02.

فهرس المحتويات

المقدمة 01
المبحث الأول: النص القرآني في المشروع الأركوني 08
المطلب الأول: إشكالية النص القرآني بين المفهوم والتطور 09
الفرع الأول: مفهوم إشكالية النص القرآني 09
الفرع الثاني: مراحل إشكالية النص القرآني 12
المطلب الثاني: مفهوم النص القرآني وآلياته عند محمد أركون 16
الفرع الأول: نقد المفهوم التراثي للوحي القرآني 19
الفرع الثاني: التأسيس الجديد لمفهوم الوحي القرآني 22
المبحث الثاني: المناهج التأسيسية للنص القرآني في المشروع الأركوني 26
المطلب الأول: المنهج البنيوي في الفكر الأركوني 29
الفرع الأول: تعريف البنيوية لغة واصطلاحا 30
الفرع الثاني: تأثير المنهج البنيوي في الفكر الأركوني 31
المطلب الثاني: المنهج التفكيكي في الفكر الأركوني 34
الفرع الأول: تعريف التفكيكية لغة واصطلاحا 35
الفرع الثاني: تأثير المنهج التفكيكي في الفكر الأركوني 37
المطلب الثالث: المنهج الأريكولوجي في الفكر الأركوني 39
الفرع الأول: تعريف الأركيولوجيا لغة واصطلاحا 40
الفرع الثاني: تأثير المنهج الأريكولوجي في الفكر الأركوني 41
المطلب الرابع: المنهج الهيرمنوطوقي في الفكر الأركوني 44
الفرع الأول: تعريف الهيرمونوطوقيا لغة واصطلاحا 45
الفرع الثاني: تأثير المنهج الهيرمونوطوقي في الفكر الأركوني 46

المبحث الثالث: التطبيقات المنهجية للنص القرآني في المشروع الأركوني............................... 49
المطلب الأول: الإسلاميات التطبيقية.. 52
المطلب الثاني: القراءة الألسنية والسيميائية 55
المطلب الثالث: القراءة التاريخية والإنثربولوجية.. 57
المبحث الرابع: نماذج من التطبيقات المنهجية للنص القرآني في المشروع الأركوني 62
المطلب الأول: قراءة سورة الفاتحة.. 64
الفرع الأول: التطبيق الألسني السيميائي في قراءة الفاتحة.. 64
الفرع الثاني: التطبيق التاريخي في قراءة الفاتحة.. 66
الفرع الثالث: التطبيق الأنثروبولوجي في قراءة الفاتحة.. 67
المطلب الثاني: قراءة سورة كهف.. 69
المطلب الثالث: قراءة سورة التوبة 74
الخاتمة: أهم النتائج 77
ملخص الدراسة 81
المصادر والمراجع.. 85
فهرس المحتويات... 89